# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٦٤ — ٢٤ أغسطس سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 164

Lundi - 24 - 8 - 1936

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ١٦٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٥ — ٢٤ أغسطس سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

## فهرس العـــــدد


| صفحة | | |
|---|---|---|
| ١٣٦١ | خضع يخضع ... ... | الأستاذ مصطفى صادق الرافعى |
| ١٣٦٣ | خطب فلسطين ... | الأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى |
| ١٣٦٥ | معركة المبادئ والنظم . | باحث دبلوماسى كبير ... ... |
| ١٣٦٧ | فن القصة فى الأدب المصرى الحديث ... | الأستاذ هلال أحمد شتا ... |
| ١٣٧١ | دانتى ألليجيرى والكوميدية الإلهية | الأستاذ د . خ ... ... ... |
| ١٣٧٥ | أبو الطيب المتنبى . ... | الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد |
| ١٣٧٨ | لغة الأحكام والمرافعات | الأستاذ زكى عريبى ... ... |
| ١٣٨١ | فى النقد . ... ... | داود حمدان ... ... ... |
| ١٣٨٢ | هيكل عظمى ... ... | الأستاذ على الطنطاوى .. ... |
| ١٣٨٤ | الحجاب فى الاسلام ... | الأستاذ عبد المتعال الصعيدى |
| ١٣٨٦ | المعنى السياسى لانتخابات مجلس النواب الفرنسى | الدكتور يوسف هيكل ... ... |
| ١٣٨٩ | هل من انتحال فى الأدب الانكليزى ؟ | جريس القسوس ... ... ... |
| ١٣٩١ | صوت دمشق (قصيدة) | الأستاذ عز الدين التنوخى .. |
| ١٣٩٢ | مختار من شعر مهرجان المتنبى ... ... ... ... | ... ... ... |
| ١٣٩٣ | شباب ... (قصة) | الأستاذ دريني خشبة ... ... |
| ١٣٩٦ | محنة الرجولة ... | الأستاذ أديب عباسى ... ... |
| ١٣٩٩ | المباحث الأثرية الأولبية . فى أكاديمية الآثار والآداب ... | |
| | مؤتمر نسوى فى باريس . مؤتمر تقدم العلوم ... ... ... | |
| ١٤٠٠ | كتاب عن السحر . وفاة راقصة شهيرة ... ... ... | |
| | كتاب عن أرنولد بنيت ... ... ... ... ... | |


# خَضَعَ يَخْضَع ...

## للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

وقال صاحب سر (م) باشا فيما حدثنى به : جاء ذات يوم قنصل (الدولة الفلانية) من هذه الدول الصغيرة التى لو علم الذبابُ فى بلادها أن فى مصر امتيازات أجنبية لطمعت كلُّ ذبابة أن يكون لها فى بلادنا اسم الطيارة الحربية ... ورأيته قد دخل علىّ شامخاً باذخاً متجبراً كأنه قبل أن يجيء إلى هذا الديوان لمقابلة الحاكم المصرى — قد تكلم فى (التلفون) مع إسرافيل يأمره أن يكون مستعداً للنفخ فى الصور ...

جنى صعلوك من رعايا دولته على مصرى فأُخذَ كما يؤخذ أمثاله وقضى ساعة أو ساعتين بين أيدى المحققين يسألونه الأسئلة الهيّنة اللينة التى تحيط بتعريفه من ظاهره ولا يشبهها فى سخافة المعنى إلا أن يسألوه عن ثيابه من أى مصنع هى فى أوربا ... فزعم القنصل أنه كان يجب أن يكون حاضراً يشهد التحقيق لأن جناية أجنبى على مصرى تقع أجنبية ... فلها شأنٌ ورعاية وامتياز ؛ وادعى أن المحققين ضايقوا المجرم وعاسروه وتجهّموه بالكلام ؛ ولهذا جاء يحتجّ

ورأيته جلس متوقراً كأنمـا يشعر فى نفسه أنه أثقل من مدفع ضخم لأن فى نفسه وهْم القوة ، وخيل إلىَّ أنه يرى موضعه بين السقف والأرض إذ يحمل فى رأسه فكرة أنه الأعلى ، وكانت له هيئة صريحة فى أن الأجنبي المقيم هنا ليس هو كل الأجنبى ، بل لا تزال منه بقيةٌ تتممها دولته ؛ وفى الجملة كان الرجل كلمةً واضحةً مفسرة تنطق بأن للقانون المصرى قانوناً يحكمه فى بلاده

وأنا قد درست القانون الدولى وعرفت ما هى الامتيازات وما أصلُها ، وهى لا تعدو كرمَ الأرنب التى زعموا أنها كانت تملك حماراً تركبه وترتفق به فسألتها أرنب أخرى أن تردفها خلفها ، فلما اندفع بهما الحمار استوطأته فقالت لصاحبته : يا أختى ما أفرَه حمارَك ! ثم سكتت مدة وأعجبها الحمار فقالت يا أختى ما أفره حمارَنا ...

وكنا نحن الشرقيين من الضعف والغفلة بحيث لم نبلغ مبلغ الأرنب فى حكمتها وتدبيرها فانهـا أسرعت ودفعت صاحبتها وقالت لها : انزلى ويلك قبل أن تقولى : ما أفره حمارى

قال : غير أنى فى تلك الساعة نسيت القانون الدولى وكنت فى إلهام مصريتى وحدها ، فظهر لى ظهوراً بيِّناً أن لا شىء اسمه القانون الحق فى هذه الدنيا ؛ ولـكن هناك اتفاقاً بين كل خضوع وكل تسلط هو قانون هاتين الحالتين بخصوصهما

وأسرعتُ إلى الباشا فأنبأته ، وأسرع الباشا فغير وجهه وتبسَّط وتهلل وتهيأ بهذا لاستقبال القادم العزيز كأنه أخص محبيه يتطلَّع إلى مؤانسته وقد جاء يزوره فى داره . ثم دخل القنصل ولم أسمع مما دار بينهما إلا الـكلمة الأولى وهى قول الباشا : لنبدأ يا سيدى من الآخر . . .

***

وكانت فى الباشا موهبة عجيبة فى اختلاب الأجانب خاصة ، يديرهم بلباقة كالخاتم فى أصبعه حتى قال لى أحدهم : إن لهذا الباشا حاسة زائدة لو سُميت حاسة الارضاء لـكان هـذا اسمها الطبيعى ، وإنه يعمل بها كما يعمل المفكر بتفكيره . فهو يبتكر الأساليب الغريبة التى يصعد ويهبط بها ميزان الحرارة النفسية ، وأن جليسه يكاد يشعر من مهارته فى التمثيل أن فى جو المكان ستاراً يُرفع وستاراً يُسْدَل بين الفصول

فما لبث القنصل أن خرج بغير الوجه الذى دخل به ، ولـكنه عبس فى وجهى أنا وتـكـرَّه لى كأنه أصغر شأنى فازدرتنى عينه فوثبت إلى رأسه فـكرة الامتيازات . وهذه القوة الطالة لو أنها كانت قوة قاهرة نافذة وأُعين بها طُفيْلىّ ليقتحم دُورَ الناس آمناً مطمئناً — لاستحى هـذا الطفيلىُّ أن يأكل بها إذ تجمع عليه التطفل والمقت معاً ؛ ولو قيل لحسام بتَّار : إن لك امتيازاً على بعض السيوف ألا تقارعك ، وإنك محمىٌّ أن تنالك سطوتها إذا قارعتها - لأنِفَ أن يسمَّى سيفاً بهذا أو بمثل هذا فان القوة الطالة التى يُعيرونه إياها ليست إلا مهانةً لشرف القوة العادلة التى هى فيه

***

قال صاحب السر : ووصفت للباشا هيئة القنصل التى انصرف بها وتقطيبه فى وجهى وقلت له : إن الذبابة وقعت فى صَحْفتى أنا من هذه الوليمة ... فضحك بملء فيه ثم قال :

ستبطل هذه الامتيازات وليس بيننا وبين نهايتها إلا أن ينتهى الشعب إلى حقيقته القومية ، فمـا تركها فى مكانتها إلا نزولُ الشعب عن مكانته . وتالله لكأن هؤلاء الأجانب يسألوننا بهذه الامتيازات : أين مكانكم فى بلادكم ... ؟

أتدرى ما قاله هذا القنصل حين تجاذبنا الحديث فيها بعد أن وضعتُ نفسى منـه فى موضع المحامى الذى يخذله الدليل فيحاول أن يستنزل كرمَ القضاة بعرض بؤس المتهم على شفقتهم ليخفف القانون الذى فى أيديهم بالقانون الذى فى أنفسهم ؟

إنه قال : لا يلومَنَّ الشرقيون إلا أنفسهم ، فهم علّموا الأجانب أن نتف ريش الطير أولُ أكله . وهذه الامتيازات إن هى إلا معاملة بيننا وبين طبيعة الخضوع فى الشعب . نعم إنها مضرة ومعرَّة ، وظلمٌ وقسوة ، ولـكنها على ذلك طبيعة فى الطبيعة ؛ فما دام هذا الشعب لين المأخذ فان هـذا يوجد له من يأخذه ، وما دامت الـكلمة الأولى فى معجم لغته السياسية هى مادة ( خضع يخضع ) ، فهذه الـكلمة تحمل فى معناها الواحـد ألف معنى ، منها : ظلم يظـلم ، وركب يركب ، وملك يملك ، واستبدَّ يستبدُّ ، ودجَّل يدجِّل ، وخدع يخدع ؛ فهل يكثر أن يكون منها للأجانب امتاز يمتاز ؟

***

قال صاحب السر : ثم زمَّ الباشا فمه وسكت ، ففهمت الكلمات التى انطبق فمه عليها وإن لم يتكلم بها ، ثم غلبـه الضحك فقال : والله يابنى لو أن برغوثاً طَمَر من ثوب صعلوك أجنبى فوقع فى ثوب صعلوك وطنى فتقاتلا فقبض عليهما فأُخذا لما رضى برغوث الأجنبى أن يحاكم إلا فى المحاكم المختلطة ...

ثم سكت الباشا مرة أخرى كأنه يقول كلاماً آخر لا يجوز نشره ثم قال : يا بنى إن الأجانب لا يضعون الحمل إلا على من يحمل ؛ فاذا نحن توخَّينا مرادهم أرادوا لأنفسهم لا لنا ؛ واذا وافقنا لهم غرضاً جعلوه كالدينار فيـه مائة قرش وأبوا إلا أن نصارفهم عليه بمائة . هم ويحك يمتازون فى معاملتنا لا فى سطور القوانين والمعاهدات فلنُبطل هذه العاملة يبطل هذا الامتياز

إن الحق يابنى استحقاقٌ لا دعوى ؛ وهذا التنازع على الحياة يجعل وسائله الطبيعية الانتزاع والمطالبة والتجرد له والدأب فيه والاصرار عليـه . وكل الأقوياء يعلمون أن موضع الاعتدال بين غَـصْب الحق وبين اسـترداده موضعٌ لا مكان له فى الطبيعة ؛ والأجنبى يعتمد علينا نحن فى جعله أكبر منا وأوفر حرمة . فاذا ألقى الشعب هذه الامتيازات من فكره وروحه وأعصابه وثارت فيه كبرياء الوطنية فاستنكف من الاستخذاء ونفر من الاختضاع وأبى إلا أن يعلن كرامتـه ، وصرف اهتمامه الى حقوق هذه الكرامة ، وأصر ألا يعامل أجنبياً يرى لنفسه امتيازا على وطنى ، وقرر ذلك فى نفسه ومكَّنه فى رُوعه وأجمع عليه إجماعه على الدين ، إذا جاءت ( إذا ) هذه بشرْطها من الشعب ، جاء جواب الشرط من الأجانب بنزولهم عن الامتيازات وانحلت المشكلة . إننـا يا بنى لا نملك ضغط السياسـة ولـكنا نملك ما هو أقوى ؛ نملك ضغط الحيـاة

لهم الامتياز بأنهم أجانب عنا ، فليكن لنا الامتياز الآخر بأننا أجانب عنهم فى المعاملة ، مثْلاً بمثل ، وما يفلُّ الحديد إلا الحديد

يقولون النظام الاقتصادى والمال الأجنبى . ولـكن أرأيت المـال فى يد الأجنبى إلا مالاً وتدبيراً وسلطة وسـيادة ، من أنه فى يد الوطنى دَيْنٌ وإسراف ورِقٌّ وذل ؟

لم يظهر لى إلا الساعة أن من حكمة تحريم الربا فى شريعتنا الاسلامية وقايةَ الأمة كلها فى ثروتها وضِياعها ومُستغَلاتها ، وحماية الشعب وملوكه من الاسراف والتخرق والـكرم الـكاذب ورد الاستعمار الاقتصادى وشل النفوذ الأجنبى

أما لو أننا كتبنا من الأول على أبواب « البنك العقارى » وأبواب ذريّته : « يَمْحَقُ اللهُ الرِّبا » فهل كانت تُقرأ هـذه الكلمات الثلاث على أبواب تلك البنوك الأجنبيـة إلا هكذا : « محالٌ خالية للايجار » .. ... ؟

(سيدى بشر . اسكندرية) مصطفى صادق الرافعى

# خطب فلسطين

## بين الصهيونية والاستعمار

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

لا يزال العرب فى فلسطين ماضين على سنتهم — يقاتلون ، وينافحون ، ويذودون عن حقيقتهم ، بل وجودهم . وقد توسط الأمير عبد الله بينهم وبين الانجليز غير مرة فما أجدت وساطته ، وسمع من زعماء العرب الذين استقدمهم اليه فى عمان أنهم ينتظرون منه أن يكف عن كلامهم فى ذلك إلا إذا كان يستطيع أن يبلغهم أن مطالبهم أجيبت بلا نقص ، وليصنع الانجليز ما شاءوا ، وليبلغوا بقوتهم مجهودها . ولو كان الأمر يحتمل المساومة لجنح العرب إلى السلم ، ولـكنهم لم يبق لهم اختيار ، فأما أن يموتوا الآن مدافعين وإما أن يوطنوا النفس على الجلاء عن وطنهم والخروج من ديارهم إذا ظلت أبواب « الهجرة الصهيونية » مفتوحة . ومن هنا هذه الاستماتة فى الثورة الفلسطينية

ولو كانت هذه الثورة شبت فى فلسطين فى أعقاب الاحتلال الانجليزى ، لـكانت أهول وأروع ، فقد كانت البلاد غاصة بالسلاح والذخيرة ، ولـكن الخطر على العرب من « الهجرة الصهيونية » لم يكن قد تجسد كما تجسد الآن ، ولا كان العرب فى البـلدان الأخرى — فضلا عن فلسطين — قد أفاقوا من صدمة الغدر الاستعمارى بهم . أما الآن فقد صار الخطر على عرب فلسطين حقيقة يحسها كل واحد فى نفسه وفيما حوله . وانتسخ الأمل فى أن يفئ الانجليز إلى العدل ويؤثروا القصد بعد أن رآهم العرب يهملون ما أوصت به وحضت عليه ثلاث لجان من لجان التحقيق جاءت من لندن إلى فلسطين وأجمعت على أن الهجرة يجب أن تقف لأن البلاد لا تحتمل استمرارها . وكان ذلك قبل سنوات عديدة ، فكيف الآن ؟ ؟

وقد تغيرت الأحوال فى البلدان العربية الأخرى ، فاستقر الأمر فى جزيرة العرب ، ووضع الصلح الـكريم بين نجد واليمن الحجر الأول فى بناء الوحدة العربية ، وجاءت المعاهدة التى عقدت فى هذا العام بين العراق والدولة العربيـة السعودية ، فـكانت خطوة أخرى واسعة فى سبيل الحلف العربى ؛ وهبت

مصر تطلب أن يسوى الأمر بينها وبين بريطانيا فبادرت بريطانيا إلى الدخول فى المحادثات التى انتهت منذ أيام إلى الاتفاق ؛ وتلتها سوريا فأضربت شهرين أو أكثر ، فلا بيع ولا شراء ، ولا أخذ ولا عطاء ، وتفاقمت الأزمة واستحال علاجها بغير النزول على حكم الواقع ، فردت فرنسا نفسها على مكروهها وعدلت عن غطرسة القوة التى لا تجدى أمام المقاومة السلبية الشاملة ، ودعت رجال سوريا إلى المفاوضة اقتداء ببريطانيا فى مصر والعراق . ولا تزال هذه المفاوضات دائرة ؛ وإذا كانت تتعثر ، فما من شك فى أن سوريا بالغة سؤلها عاجلا أو آجلا ، فما بقى من هذا مفر ، وإلا قامت القيامة فى وقت لا ينقص فرنسا فيه الأزمات والارتباكات والمشاكل العويصة

فالدنيا تتغير حول فلسطين ، والانجليز هناك جامدون لا يغيرون شيئاً من سياستهم ، ولا يبدلونها على ما تقضى به الأحوال الجديدة . وهذا هو وجه العجب منهم ، فان العهد بهم أنهم أهل كياسة ومرونة وحذق ، وأنهم أساتذة بارعون فى تكييف سياساتهم وفق الأحوال . ولكنا نراهم الآن يجزعون من الاتفاق المنتظر بين فرنسا وسوريا ، ويشفقون على فلسطين من عدوى الاستقلال السورى حتى ليقال إنهم سعوا سعيهم عند فرنسا ليحبطوا الاتفاق أو يؤخروه على الأقل حتى يفرغوا من ثورة فلسطين

ويبدو لنا أن عناد الانجليز فى فلسطين يرجع الى سببين : أحدهما أنهم يريدون أن يجىء اقتراح وقف الهجرة من الصهيونيين أنفسهم ، مصانعة منهم للنفوذ المالى للصهيونية فى بلادهم وفى العالم كله . وهم لا ينكرون أن العرب على حق فى المطالبة بوقف الهجرة والاكتفاء بما كان الى الآن ؛ ثم إنهم يعرفون أن وقف الهجرة لا يناقض ما وعدوا به من إنشاء الوطن القومى ولا ينافى عهد بلفور ، لأن هذا الوعد كان بانشاء الوطن « فى » فلسطين لا بجعل فلسطين كلها وطناً قومياً للصهيونية . وقد تم ذلك وأنشئ الوطن وتحقق الوعد وبرت إنجلترا بالعهد . ثم إن العهد نفسه مقيد بالمحافظة على مصالح أهل فلسطين الأصليين . فاذا وقفت الهجرة فانها تقف تنفيذاً للعهد ، كما أبيحت تنفيذاً للعهد . ولكن الحكومة البريطانية تتلكأ حتى تتقدم اللجنة الصهيونية باقتراح الوقف بعد أن تتبين لها استحالة الاستمرار

والسبب الثانى أن بريطانيا تروم أن تخضع العرب فى فلسطين وتكرههم على إلقاء السلاح قبل أن توفق سوريا فى مفاوضة فرنسا ، لأن العود الى الثورة يكون عسيراً جداً ، ولا بد من انقضاء فترة طويلة تستريح فيها الأمة من مجهود الثورة وتستجم . والمعهود فى الانسان أن الحماسة تنبه أعصابه وتشدها فلا يكاد يشعر بعظم الجهد الذى يبذله والمشقة التى يعانيها ، ولكنه بعد أن يفرغ من ذلك ويسكن لا تكاد حاجته الى الراحة تنقضى . وهذا هو الذى تعول عليه بريطانيا فى فلسطين ؛ فهى تلج فى العناد وتأبى إلا العنف فى القمع وتصر على التسليم والسكون قبل أن تعد بشىء أو تظهر استعدادها لاجابة المطالب العربية ، لعلمها أن العرب إذا سكنوا فبعيد جداً أن يثوروا كرة أخرى إلا بعد فترة راحة طويلة . وإلا فمتى عهدنا الانجليز يقاتلون فى سبيل غيرهم ويسخون بدمائهم هذا السخاء من أجل شعب آخر ، ولا سيما إذا كان هذا الشعب لا يقاتل ولا يدافع عن نفسه بل يلقى عليهم وحدهم عبء الدفاع كله ؟ ؟ فليس حرص الانجليز على الوطن القومى وإنما هو على مركزهم فى فلسطين ، وهم لا يعبأون شيئاً بوعد بلفور فقد نقضوا ألف وعد ووعد مثله ولم يعدموا مسوغاً ، وإنما الذى يخشونه هو أن يترقى العرب فى مطالبهم من وقف الهجرة إلى جلاء الانجليز أنفسهم عن بلادهم . فما يخفى عليهم أن قضية الوحدة العربية أو الحلف العربى تتقدم ، وأن الثقة بأمكان ذلك تعظم وتقوى ، وأن الايقان بتحقيق هذا الأمل يعمر الصدور ، ولكنا كنا نظن أن الانجليز أبعد نظراً مما يبدون الآن فى فلسطين ، فأن العرب أصدقاء طبيعيون لبريطانيا ؛ وهم يؤثرون محالفتها على سواها لأنها دولة شبعت واكتظت فحسبها أن تتحفظ بما لديها وأن تستبقى خير ما فى يديها . فالعرب لا يتوجسون منها كتوجسهم من دولة كايطاليا تحدثها آمالها بنشر الدولة الرومانية التى عفى عليها الزمن . ومن مصلحة بريطانيا أن تضمن ود الأمم الواقعة على طريق امبراطوريتها وأن تثق بمعونتها ووفائها لها عند الحاجة ، وبغير ذلك لا ندرى كيف ترجو السلامة وتأمن أن تتبعثر أجزاء أمبراطوريتها تبعثر حبات العقد ؟ ؟ ولكن سلوكها فى فلسطين ينفر العرب جميعاً فى كل رقعة من رقاع الأرض ويسود قلوبهم ويوغر صدورهم ، والعرب أمة تكبر العدل كائنة ما كانت الأغراض المحجوبة والغايات المستورة ؛ وليس فى وسعهم أن يعذروا بريطانيا وهم يرون عرب فلسطين

يكتفون بمطالب اعترفت لجان التحقيق الانجليزية واحدة بعد واحدة بعدلها ووجوب إجابتها . وليس أدل على أن قلوب العرب كلهم يعصرها الألم لمصاب فلسطين من إجماع ملوك العرب على التوسط عند الحكومة البريطانية طالبين الانصاف لهذا الشعب المسكين . وقد تستطيع بريطانيا بقوتها أن تطفئ الثورة وتخمد الوقدة ، ولكنها لا تكسب بذلك بل تخسر : تكسب استقرار الأمر لها على الحد الذي ترومه في فلسطين — إلى حين — وتخسر العرب جميعاً في كل رقعة من رقاع الأرض . ولو فاءت إلى العدل ، لما غض ذلك منها عند العرب ، ولا حمل أحداً على الاستخفاف بقوتها كما تتوهم ، بل لكان ذلك حقيقاً أن يرفع مقامها ويعلي منزلتها ، لأن العرب كما قلنا لا يكبرون شيئاً كما يكبرون العدل ، والعادل عندهم أسمى مكاناً وأرفع درجات وأحق بالتوقير من القوى ، وتاريخهم الطويل كله — في أمجد عصورهم وأحطها — شاهد بذلك

ابرهيم عبد القادر المازني

أوربا على المنحدر

# معركة المبادئ والنظم

لباحث دبلوماسي كبير

كانت الثورة الاسبانية نذير عاصفة دولية جديدة من نوع خاص ؛ فقد سرت ريحها خارج الجزيرة بسرعة ، وتكشفت عن نتيجة لم يكن يتوقعها أحد ؛ ذلك أنها لم تبق بعد مسألة داخلية تهم أسبانيا وحدها ، ولكنها تغدو شيئاً فشيئاً مسألة أوربية عامة تشغل بشأنها الدول العظمى . ومما يلفت النظر بنوع خاص ، هو أن ما تثيره الحوادث الاسبانية من الاهتمام لا يقتصر على الناحية السياسية فقط ، بل يتعداها إلى ناحية أخرى أهم وأبعد أثراً ، هي الناحية الاجتماعية ، أو بعبارة أخرى ، هي ناحية النظام الاجتماعي الذي تدور حوله رحى الحرب الأهلية في أسبانيا

وقد تناولنا أسباب الثورة الاسبانية وتطوراتها في مقال سابق ، وبينا كيف أنها تقوم على صراع بين المبادئ والنظم مازالت تضطرم اسبانيا بشرره مذ قامت فيها الجمهورية على أنقاض الملوكية القديمة وطغيان العسكرية المطلق ؛ على أن هذه الناحية الاجتماعية في معارك اسبانيا الاهلية لم تبد من قبل بمثل ما تبدو به اليوم من القوة والوضوح ؛ ففي معسكر الحكومة الجمهورية يجتمع جميع الطبقات العاملة من الفلاحين والعمال وجميع القوى الديموقراطية والاشتراكية ، وفي معسكر الثورة تحتشد عناصر الطغيان العسكرية التي حكمت أسبانيا من قبل عدة أعوام ، ورجال الدين الذين جردتهم الجمهورية من نفوذهم وامتيازاتهم القديمة ، وفلول الملوكية القديمة ومن اليهم من النبلاء ورجال المال والصناعة الذين أضرت النظم الاشتراكية بمصالحهم المادية ، وهؤلاء يمدون الثورة بالمال ؛ وهذه الصورة البارزة التي تقدمها الينا الحرب الأهلية الاسبانية ، يقدمها الينا زعماء الجبهتين الخصيمتين أنفسهم ؛ فزعيم الثورة الجنرال فرانكو يقول لنا إن الثورة الحالية إنما هي حركة قومية يراد بها انقاذ اسبانيا من قبضة الاشتراكية والشيوعية ، ومن الفوضى الاجتماعية التي انحدرت اليها في ظل الأنظمة المتطرفة ، وإقامة حكومة قومية تحترم حقوق الفرد والملكية ، وتعيد إلى اسبانيا هيبتها الدولية في ظل أنظمة قوية محترمة ؛ وحكومة مدريد تقول لنا إنها تدافع عن الحريات الجمهورية ازاء الخطر الفاشستي الذي يهدد البلاد بعود الحكم المطلق ، وتناشد جميع طبقات الأمة ، ولا سيما الطبقات العاملة ، أن تذود عن حرياتها وحقوقها التي اكتسبتها بدمائها وتمتعت بها في ظل النظام الجمهوري

وهذه الناحية الاجتماعية البارزة التي تسفر عنها الثورة الاسبانية تغدو اليوم مسألة أوربية شائكة ، تكاد أوربا تنحدر إلى غمرها ، بل لقد ظهرت بوادرها العملية بالفعل ، وبدا خطرها واضحاً على السلم الأوربي ، فقد ظهر أن الثورة العسكرية الاسبانية تتمتع منذ الساعة الأولى بتأييد الدولتين الفاشستيتين الكبيرتين : أعني ايطاليا وألمانيا ، وهو تأييد يتخذ صورته المادية في امداد الثورة بالسلاح والمال ؛ وقد أمدت ايطاليا الثوار علانية بسرب من الطيارات ؛ وبعثت ألمانيا بارجتين من أسطولها إلى مياه سبتة ، واتصل ضباطهما بزعماء الثورة في زيارة رسمية ؛ وازاء هذا التأييد تقوم الدولتان الديموقراطيتان الكبيرتان : أعني فرنسا وانكلترا من جانبهما بتأييد حكومة مدريد ؛ وإذا كانت فرنسا

تؤثر أن تتظاهر بالحيدة فلا ريب أنها مع ذلك تمد حكومة مدريد بالمال والسلاح ؛ أما انكلترا فلم تتردد في امدادها بالطيارات ، ولكن تحت ستار التجارة الحرة . وفي ميدان السياسة الدولية تعتبر المسألة الاسبانية مسألة اليوم ، وقد طرحتها فرنسا على بساط البحث بتوجيه مذكرة إلى انكلترا وايطاليا وألمانيا ، تقترح فيها أن تجتمع الدول الأربع لبحث المسألة الاسبانية ، واصدار تصريح تتعهد كل منها فيه بالتزام الحيدة وعدم التدخل في حوادث اسبانيا ؛ وقد أجابت انكلترا بتأييد هذا الاقتراح لاتفاق وجهة نظرها مع وجهة النظر الفرنسية ؛ أما ايطاليا فقد أبدت عليه تحفظاتها ، وأما ألمانيا فقد اشترطت أن تدعى روسيا السوفيتية للاشتراك مع باقي الدول في القيام بهذه الخطوة . ولاقتراح ألمانيا مغزاه ، وهو أن روسيا السوفيتية تؤيد حكومة مدريد والجبهة الاشتراكية التي تستند اليها ، أو بعبارة أخرى هو أن التدخل البلشفي عامل هام في تطور الحوادث في أسبانيا

ويجب أن نلاحظ أن العوامل الاجتماعية التي أملت على الدول موقفها ترجع من جانبها إلى عوامل المصلحة المادية . ذلك أن انكلترا التي تسهر في جبل طارق على أبواب البحر الأبيض المتوسط ومدخل المحيط الأطلانطي ، تخشى أن تتأثر سيادتها في هذه المياه بتطور الحوادث الأسبانية تطورا لا ترغب فيه ، وذلك بقيام حكومة فاشستية في مدريد تتأثر بوحي الفاشستية الايطالية التي غدت منذ المسألة الحبشية شوكة في جانب الامبراطورية البريطانية . هذا إلى أن لانكلترا في اسبانيا مصالح مالية خطيرة ، والأموال الانكليزية تغذي معظم شركات التعدين الاسبانية ؛ ومع أن انكلترا تبغض شبح الفاشستية وتخشاه ، فأنها أيضاً تبغض شبح البلشفية والاشتراكية المتطرفة وتخشى أن يؤدي ظفر الجبهة الشعبية الجمهورية في اسبانيا إلى قيام حكومة تخضع لنفوذ موسكو ، وتعمل على مناوأة نفوذها ومصالحها في غرب البحر الأبيض المتوسط . فالسياسة الانكليزية تعمل في هذا الظرف على إيجاد نوع من التوازن القوى في اسبانيا وقيام حكومة ديموقراطية معتدلة تجانب الغلو والتطرف ؛ وأما موقف فرنسا فتمليه مصالحها في البحر الأبيض المتوسط ، والخوف على سيادتها في مراكش من أن تتأثر بظفر الفاشستية المتطرفة في اسبانيا

على أن المسألة الاسبانية تبقى في جوهرها قائمة على معركة المبادىء التي تلوح اليوم قوية في أوربا ؛ فالفاشستية — في شخص إيطاليا وألمانيا — تحاول بمبادئها الطاغية المغرقة أن تهدم حصناً جديداً للديموقراطية ، وأن تضم دولة أوربية جديدة إلى جبهتها بمؤازرة الثورة العسكرية الاسبانية ؛ والديموقراطية — في شخص انكلترا وفرنسا — تحاول أن تقف في وجه الفاشستية ؛ وروسيا البلشفية تحاول أن تنتهز الفرص لبث دعايتها لاضرام الثورة العالمية ؛ والفاشستية تمثل جبهة الدول الناقمة التي حرمت من مزايا الاستعمار الباذخ ؛ والديموقراطية تمثل جبهة الدول الراضية التي تتمتع بالثراء والاستعمار الباذخ ؛ ومعركة المبادىء تتحد هنا مع معركة المصالح المادية

وهذا هو وجه الخطر في الأزمة التي تغيم اليوم في أفق السياسة الأوربية ، والتي قد تغدو غير بعيد خطراً يهدد السلم الأوربي ، ذلك أن معركة المبادىء والمثل تغذيها هنا مصالح مادية قوية ؛ وهذا الصراع الذي تذكيه شهوات المادة والمبدأ معاً هو أخطر أنواع الصراع الدولي . فالبلشفية من ناحية ، والفاشستية والنازية من الناحية الأخرى تنزل إلى ميدان الصراع مسلحة بأخطر أنواع الدعاية والقوى المادية ؛ والديموقراطية من جانبها تحاول أن تقف موقفاً وسطاً بين المبادىء والمثل المضطرمة ، وأن تدفع تيار التطرف من الجانبين صوناً لوحدتها وكيانها . ولنلاحظ أيضاً أن فرنسا الاشتراكية تؤثر ظفر الجبهة الشعبية الاسبانية ، ولو أن هذا الظفر قد يدفع اسبانيا إلى أحضان الشيوعية ، ذلك أن روسيا البلشفية تقف إلى جانب فرنسا في ميدان الصراع الدولي ضد ألمانيا ، وألمانيا تعتبر نفسها حاجزاً للبلشفية وترى في روسيا ألد أعدائها ؛ وإيطاليا ترى في ألمانيا حليفتها في المبادىء والمثل ؛ والفاشستية والنازية كالبلشفية تعتبر كلتاهما أنها نظام المستقبل وتحاول أن تدفع مبادئها إلى خارج حدودها بمختلف الوسائل

هذه هي عناصر المعركة الدولية الخطيرة التي أثارتها الحوادث الاسبانية ؛ وهي ما زالت في طور التمهيد والمقدمات ؛ ومن

الصعب الآن أن نتبين طورها المقبل ؛ ذلك أن سيرها يتوقف كثيراً على سير الحوادث فى اسبانيا ؛ بيد أنا نستطيع أن نتبين بعض وجوه الخطر الذى يهدد السلم الأوربى ؛ فايطاليا التى ما زالت ثملة بفوزها فى الحبشة تحاول أن تستغل الظروف ، وأن توجه ضربة جديدة إلى الأمبراطورية البريطانية وإلى سيادة بريطانيا فى البحر الأبيض ؛ وألمانيا التى جردت من مستعمراتها تحاول أن تجد فرصة للتدخل فى شؤون البحر الأبيض ، وبخاصة فى شؤون طنجة ومراكش ، وأن تنتهز مخاوف انكلترا وفرنسا لتثير المسألة الاستعمارية من جديد ؛ وانكلترا التى شعرت منذ المأساة الحبشية بما يهدد سيادتها فى البحر الأبيض من الأخطار تتحين الفرص لتوكيد نفوذها وهيبتها ؛ وفرنسا لا تطيق لحظة أن يتعرض مركزها فى مراكش لأى تدخل أو خطر . ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة أن تحرش ألمانيا بمركز فرنسا فى مراكش يوم ضربت عليها الحماية الفرنسية كان من أهم العوامل فى تسميم جو السياسة الأوربية قبيل الحرب الكبرى ، والتمهيد لذلك الجو المضطرب الذى اجتمعت فيه أسباب الحرب

هذا وهناك ظاهرة تتكشف عنها تلك المعركة الخطيرة بين الديموقراطية والفاشستية ، هى أن الفاشستية تعمل بسرعة وعزم دون تردد أو تدبر للعواقب ؛ وأما الديموقراطية فما زالت مختلفة متنازعة ، وما زالت تجنح إلى التردد والتخاذل . وقد استطاعت الفاشستية غير مرة أن تنتهز فرصة هذا التخبط وأن تضرب ضرباتها فى صميم الديموقراطية ؛ ومن جهة أخرى فقد أفسدت الروح الاشتراكية المتطرفة عقلية الجماعات ، وبثت فيها كثيراً من دواعى التخاذل والغرور ، هذا بينما تجد الصفوف الفاشستية منظمة طائعة تعمل لأول إشارة تلقى اليها

فهل تستحيل تلك المعركة الدولية فى القريب العاجل إلى صراع الحياة والموت بين النظم والمثل فى أوربا ؟ وهل تدفع أوربا إلى طريق حرب جديدة ما زالت عوامله تجتمع فى الأفق منذ حين ؟ هذا ما سوف نتبين فى المستقبل القريب . بيد أنه مهما كانت ظروف المعركة الحالية ، ومهما كانت نتائجها ، فلا ريب أنها من عوامل الخطر فى مصير السلم ومصير أوربا ؟

( *** )

# فن القصـــة
## فى الأدب المصرى الحديث
### للأستاذ هلال أحمد شتا

طالعتنا ( الرسالة ) الغراء ، فى عددها رقم ١٥٧ ، بمقال طلى للكاتب الأديب الأستاذ محمد على غريب ، ألم فيه بدراسة شائقة لنتاج قصصى مصرى شاب . . وقد مهد لدراسته هذه بمقدمة تناول فيها فن القصة فى الأدب المصرى الحديث .

ولقد كانت هذه المقدمة القصيرة — كما دعت الحال — لمحة خاطفة ، والمامة مقتضبة ، جال فيها قلم الكاتب جولة سريعة كما تجرى أحداث الدنيا فى عصرنا الحاضر . ولكنها ساقت الى رأسى هذا البحث الذى أطالع القراء به اليوم : وهو بحث فى القصة المصرية تَرويت فيه بعض التروى ، لأتمكن من الدراسة الهادئة غير العاجلة ، ولألم فيه بتاريخ القصة فى الأدب العربى ، وبقيمة هذا الفن الجميل ، وبنشأته فى الأدب المصرى الحديث ، وبالمدارس الغربية التى تأثر بها منشئو القصة فى مصر ؛ ثم بما حظيت به من جهود الأدباء المصريين ، وما بلغته هذه الجهود من توفيق وما قطعته فى طريقها نحو السداد

***

ويجدر بنا — قبل أن نوغل فى الحديث — أن نستعرض ما لهذا الفن الجميل من آثار جليلة فى تكوين النفوس والعقول على السواء . فالقصة الناجحة القريبة من الكمال الفنى ، أبلغ تأثيراً فى النفس ، وأقوى سلطاناً على العقل ، من أى عمل فنى آخر .. لأن الفنون الجميلة عامة تفعل فى النفس فعلاً ، ولا تقوى على أن تفعل فى العقل شيئاً . . وإذا نظر الانسان الى لوحة فنية بالغة نهاية الكمال ، أو الى تمثال أفرغت فيه عبقرية فنان موهوب ، أو إذا استمع قطعة موسيقية تضافرت فيها براعة نفر من نوابغ الواضعين والعازفين ، فستطغى على نفسه موجة من الشعور بالسرور أو باحساس يشبه السرور والنشوة ، ولكن عقله لن يتأثر بذلك شيئاً .. فى حين أن القصة الناجحة قد تخلق من قارئها إنساناً

جديداً ، وقد تسوق إليه رأياً يحتل من عقله موضع العقيدة . .

ومن أجل هذا عنى الغربيون فى نهضاتهم القديمة والحديثة بفن القصة عناية بليغة . فاستطاع قصصيوهم أن يخلقوا بفنهم جماعات قريبة من الكمال .. وكان لهذا الفن فى نهضتهم الحديثة أثر جليل ملموس

وليس مغالياً من يقول : إن فن القصة قد أبرز الى ميدان الزمن والتاريخ فرنسا الحديثة ، وروسيا الحديثة ، وإيطاليا الحديثة .. وقد يكون كذلك خالق بريطانيا الجديدة ، ودافعها الى رقيها الفكرى والخلق الذى كادت تتفرد به بين الأمم . على أن الذى لا يقبل الجدل أن القصة قد تقدمت فى أوروبا وأمريكا فى العصر القريب الذى نعيش فيه ، فغمرت سوق الأدب ، وتمتعت من الأدباء والمتأدبين بعناية غلبت كل عناية ، وإقبال فاق كل اقبال وجهود بذت كل جهود . .

وإذا كان الغرب اليوم فى أوج عزه وعظمته ؛ وإذا كان مع ذلك منكباً على فن القصة أى انكباب ، فذلك دليل ساطع على أن هذا الفن جدير بالعناية خليق بالاهتمام . .

ولقد عرف الغرب كيف يحتفى بفنانيه عامة ، وقصصييه خاصة ، وكيف يكرمهم ويكبر فيهم فنهم وفضلهم العميم ، فأتاح لهم أن يكونوا من قادة العقول فى المقدمة ، وأن يفرغوا الى فنهم فيهبونه وقتهم وجهدهم جميعاً ، بما ضمن لهم من وسائل المعيشة والرزق الكثير ، وبما هيأ لهم من ظروف يخلون فيها لدراساتهم الطويلة ، ويلمسون فيها جوانب الحياة فى مختلف الجماعات ومتباين الطبقات . . .

***

ولقد ظل الأدب العربى مفتقراً إلى القصة فى جميع عصوره الأولى ؛ ويلوح أن الأمية والبداوة فى العهد الجاهلى قد ساعدتا على إهمال الفنون الجميلة — ومن بينها القصة — وأن كل ما تمتع به العرب من ضروب الفن الجميل إذ ذاك هو ما حملته ألسنة الرواة من الشعر والنثر ، وما ترنم به حداة الابل من موسيقى بسيطة . .

على أن النهضة الاسلامية التى حمل رايتها محمد صلى الله عليه وسلم ، كانت فى حاجة إلى القصة أيضاً ؛ لذلك كان القصص فى القرآن جانباً خطيراً من جوانب الاعجاز ، وعاملاً قوياً فى تهذيب نفوس أولئك الجاهليين ، وقوة رائعة تضافرت مع ما خص الله به محمداً فاستطاعت أن تخلق من أشتات الجاهليين فى شبه الجزيرة أمة لم يشهد مثلها التاريخ القديم أو الحديث

فالقرآن الكريم إذن أول من أدخل القصة على الآداب العربية ، ودفع بها إلى مقام العناية . .

وطبيعى أن يعنى القرآن بالقصة ، فهو الداعى إلى الكمال العلمى والروحى والخلقى ، الجامع لأنواع العلوم والفنون عامة ، والدستور الخالد الذى ينظم حياة إنسانية عالية الأركان دائمة على الزمان .

ولقد نال فن القصة بعد ذلك جانباً من عناية الناطقين بالضاد ، فكانت السير النبوية ثانية المحاولات الموفقة لخلق فن جديد فى اللغة العربية ، على أن هذه السير كانت فتحاً لباب واحد من أبواب فن القصة ، هو القصص التاريخى ، كما كان ما فيها من فن لا يزال فجا محتاجا لكثير من العناية والموهبة . . وهى مع ذلك جهود لا يمكن أن يغفل ما لها من فضل عميم على القصة العربية الصميمة . .

وسايرت القصة العربية النهضة الفكرية التى دفع الاسلام العالم العربى إليها فتقدمت خطوات ليست ذات أثر كبير ، إذ كانت فى عصر الأمويين تكاد تقتصر على الرواية والارتجال ، ولم يلتفت إليها — كفن جميل له أثره وفعله — إلا بعض الرواة الذين دبجوا قصص الشعراء المحبين ، وأسبغوا عليها بعض الصناعة والحبكة والطرافة ..

ثم كان بعد ذلك العصران العباسيان الأول والثانى ، حين بلغ الرقى الفكرى ذروته ، وحين فرغ العرب — الهادئون ، الناعمون ، المتمدينون — ينشدون غذاء النفس والروح فى الفنون الجميلة ، وحين ضربوا فى كل جانب من جوانب التفكير الحر والابتكار . فكان طبيعياً أن يبلغ فن القصة أوج عزه وعظمته ، وكان طبيعياً أن يتخصص كبار الفنانين العرب لكتابة القصة وابتكارها ، كما تفرغ إخوانهم للموسيقى والغناء ، والرسم ، والكتابة ، والشعر ، وسائر الفنون العالية .. وكفى دليلاً على رقى القصة فى ذلك العصر الحافل بالروائع والبدائع « ألف ليلة وليلة »

إذا قصدنا جانب الخيال والابتكار ، ثم « المقامات » إذا نشدنا جانب الصياغة والاتقان

غير أن المحنة التى لحقت بالعرب والعربية ، بانحلال الدولة العباسية ، كانت كافية لأن تحطم الآثار العقلية والفنية والفكرية ، وأن تأتى عليها إتياناً ذريعاً ..

وإذا كان الباحث فى تاريخ الأدب العربى — بعد المحنة العباسية — يعثر بين الحين والحين على بعض الآثار الفنية المتصلة بالقصة ، فليس ذلك إلا ترديداً لبعض ما خلفته يد الزمن من آثار الفنانين العباسيين ..

***

والقصة فى الأدب المصرى ، حديثة العهد ، قريبة المولد ، لأن العصور التى خلفت عصر الفاطميين ، قد أفسدت اللسان العربى الذى تكلم به المصريون منذ الفتح الاسلامى ، وأدخلت على سلاسته وجذالته لكنة الترك وعجمة الفرنجة ...

ولسنا نستطيع أن نسمى قصص « أبى زيد » و « السيد البدوى » وأمثالها قصصاً عربياً أو عجمياً ، فكلها وليدة خيال مشعوذ وقلم مرضوض ...

إذن لم يشهد الأدب العربى المصرى جهوداً تبذل فى سبيل القصة الموفقة إلا بالأمس القريب ، منذ عشرات السنين ، وبعد أن استطاعت النهضة العلوية أن تقوم اللسان ، وتصلح التفكير ، وتنمى الخيال ... حين قامت طائفة من نوابغ الشبان تخلق القصة العربية فى معناها الذى نعرفه الآن ، وهى طائفة كل أفرادها اليوم من الكتاب المتازين والأدباء البارزين ...

وإذا كانت العربية ، التى تحدث بها رعاة الابل والأنعام فى شبه الجزيرة ، قد وسعت مدنية العباسيين وعلمهم الغزير ، فانها قد وسعت كذلك كل ما جال فى خواطر أولئك الشبان ، أو هؤلاء الكرام الكاتبين . وقد استطاع ذلك النفر — بما أوتى من فن خالص وموهبة — أن يزجى إلى العربية هدية لم تألفها من قبل أبداً . فلقد كان فى محاولاته الموفقة متأثراً بالمدارس الغربية إلى جانب ما خص به من سليقة عربية حلوة الجرس موفقة المرمى ، سديدة المعنى

وإنه لواجب علينا أن نطوف بهذا النفر الجليل ، وأن نمضى على نتاجه سريعاً ، لنسجل له فضله شاكرين .. ولكننا نرى — قبل ذلك — أن نذكر المدارس التى تخرج فيها بكلمة قصيرة : وهى المدرسة الروسية والمدرسة الانجليزية ، والمدرسة الفرنسية . .

فالمدرسة الروسية قد امتازت بمحاكاة الواقع ومسايرته ، والتعلق بالطبيعة ومظاهرها وأجوائها — الملموسة وغير الملموسة — ثم بالصدق ، والهدوء ، والتهكم . .

والمدرسة الانجليزية تعشقت الصدق أيضاً ؛ وأحبت التحليل النفسى الدقيق ، ووفقت فى كشف النفس البشرية توفيقاً عظيما ، واستطاعت أن تلمس العواطف وتترجم الأحاسيس فى عمق وسداد عجيبين . .

والمدرسة الفرنسية قد عشقت الخيال ، وتطرفت فبالغت بعض المبالغة ، غير متقيدة بالواقع أو المألوف ، وبرعت فى الحبكة المصنوعة براعة تثير العجب والاعجاب معاً ، ومالت إلى ترجمة الأسى والحزن البليغ . .

***

وهؤلاء الناهضون بالقصة فريقان : كان لأحدهما الفضل فى أن يحمل إلى العربية القصة الغربية الموفقة فى معناها الحديث الذى دفعتها إليه النهضة الأخيرة ، وأن يخلق فى العربية أو يكشف فى بحرها الزاخر عما يترجم لغة أبناء الغرب أصدق ترجمة ، ويزجيها إلى أسماع العالم العربى سائغة المعنى ، عربية الرنين موفورة الحظ من بلاغة أبناء العرب وفصاحتهم . .

ولن ينسى قراء العربية فضل هذا الفريق أبداً ، فلقد فتح بجهوده وتمكنه وسلامة ذوقه العربى فتحاً فى العربية جديداً ، وكان له — وهو المترجم — فضل لا يعلو عليه فضل الواضعين أو المبتكرين ، لأنه البوتقة التى صهرت جميل فن الغربيين ، فاستحال فيها فناً عربياً رائعاً

ويتزعم هذا النفر ثلاثة من نوابغ الأدباء المصريين ، وهم : الزيات ، والمنفلوطى ، والمازنى

فأما الزيات ، فيمنعنى عن الاشادة بفضله أنه مدير هذه المجلة ، وأنه رجل يعرف فيه قراء العربية التواضع الكثير والنأى عن الضوضاء ، وأخشى — وهو صاحب الحق فى النشر — أن يحول تواضعه الغزير بين هذا البحث وبين أبصار القراء وأسماعهم . .

على أن كل هذا لا يمنعنى من القول بأن جهده فى سبيل القصة لن ينساه له تاريخ هذا الفن فى الأدب العربى ، ولن ينساه له

أولئك المتأدبون الشبان الذين عرفوا من معرباته معنى القصة الناجحة ولونها ، والذين مضوا بعد ذلك يقفون أثره ويتلمسون الطريق التى مهدها لهم وفتحها أمام تفكيرهم . . حين نقل إلى لغة الضاد « لامرتين » و « جوت » فى أبدع ما صورت الشاعرية الفرنسية والألمانية ، وأنجب الخيال اللاتينى والجرمانى . . وستبقى « رفائيل » « وآلام فرتر » على الأيام مثالاً بديعاً للتعريب الكامل الذى تكاد تغلب فيه قوة المترجم ، كما بقيت « كليلة ودمنة » تتحدث إلى يومنا هذا بفضل ابن المقفع

وأما المنفلوطى ، فقد كان جديراً بأن يزجى إلى القصة فضلاً أكثر من فضله ، فهو الأديب بفطرته والقصصى بفطرته . . ولو شاء الله وبسط أمامه سبل دراسة هذا الفن ، أو قارب بين لسانه وبين لغة من اللغات الحية ، لكسبنا فيه قصصياً عظيما : ولكان نتاجه فى فننا هذا نتاجاً باقياً خالداً . . على أنه برغم هـذا مشكور الأثر باقى الذكر ، ممتاز بمـا خص به من أدب رائع ، وذوق فنى بديع ، وجذالة تفعل فى لسان الناشئة فعلاً محموداً

وأما المازنى — المترجم — فبالغ قمة التوفيق ، كزميله الزيات ، لوفرة علمه بلغة الانجليز ، ولأنه أديب عربى قويم اللسان ، مفطور على الفن . . وقد نرى فيما بعد — أن المـازنى المؤلف أسدى إلى القصة يداً فوق يده هـذه ، ولكن الفضل لا يمحو الفضل على حال ؛ وسيبقى المازنى المترجم خالداً فى قصة « ابن الطبيعة » فقد كان فيها عظيما حقاً ، إذ استطاع أن يختار للعربية أروع أمثلة الأدب الروسى ، كما استطاع أن ينقل فن أبناء الروس نقل الفنان والأديب الموهوب

* * *

والفريق الثانى هو فريق المبتكرين ، أو الواضعين ، وهو أول من ساق جمهور القارئين والمعنيين بالأدب إلى فهم معنى القصة الذى عرفه به الغربيون ؛ ونستطيع القول بأن هذا الفريق أحسن إلى القصة حيناً من الزمن فعرفت له أياديه ، ثم أهملها اليوم إهمالاً تأخذه عليـه وتشكوه منه . . ولو استمر ذلك النفر فوهب القصة عهد رجولته كما وهبها عهد شبابه ، لاستطاعت أن تبلغ شأناً غير شأنها ، ومنزلاً فوق منزلها . .

وهؤلاء الذين يستطيعون أن يشقوا طريقهم ليأخذوا مقام الصدر بين آلاف المؤلفين وأشباه المؤلفين ، ليسوا إلا أربعة من كرام الكتاب ؛ هم : المـازنى ، وهيكل ، وتيمور ، وأبو حديد ولكل من الأربعة لون خاص يميزه من سواه

فالمازنى . أميز صفاته سلامة أسلوبه العربى وعلوه ، ثم جمال تهكمه وفكاهته ، وميله الى المزاح ، مع شدة احتفاظه بالأرستقراطية . وهو الى جانب هذا فنان من الطبقة الأولى ، فقد اجتمعت فيه فطرة الفنان ، والدراسـة الطويلة المستمرة ، فأنجبتا للعالم العربى قوة عزيزة قليلة الوجود

وهو — على رغم كونه تلميذا مخلصاً للمدرسة الانجليزية — لا يستطيع أن يخفى على القارئين أنه تتلمذ على المدرسة الروسـية أيضاً . وإذا كان دائم الانكباب على الأدب الانجليزى مولعاً به ولعاً شديداً ، فانه بطبعه وبسليقته الفنية ، كان فيما أنتج ميالاً الى المدرسة الروسية ، فى هدوئها ، وصدقها ، وتفكهها ، وطبيعتها وان استطاع — بما كسب من دراسة — أن يترجم الأحاسيس ترجمة صادقة تميز بها منشئو القصة الانجليزية

والذى قرأ المـازنى — المؤلف — فى قصته « ابراهيم الكاتب » لا يمكنه بعـد ذلك أن يندب حظ القصة فى الأدب العربى الصميم ؛ لأنه يراها فى قصة المـازنى خلقت قوية لأول عهدها بالحيـاة ، ووجدت من روحه الفنانة ، وقلمه الملهم ، ودراسته الطويلة ، متكأً كان جديراً بأن يحملها الى المقام الذى بلغته بين أبناء أوربا وأمريكا ، لو قدر له أن يضع على عاتقه هذا الواجب الخطير

وكان هيكل فيما أنتج — وأول نتاجه قصة زينب — فرنسياً مخلصاً ؛ فهو يؤثر الصناعة والحبكة القصصية ، ويحب أن يضرب على أوتار تحس ، وأن يعالج بمجهوده موضوعاً ، غير متقيد بمذهب الفن للفن ، بل ذاهباً مذهب استغلال الفن للمصلحة . ولقد أسبغ على فرنسية فنه روحاً عربية جميلة ، بمـا وفق إليه من براعة فى الوصف ، وقدرة على التصوير الفاتن

ولا شك أن هيكل فنان بطبعه ؛ وقد كان خليقاً بأن يكون من عداد القصصيين الممتازين لو عنى بفنه عنايته بأدبه وعلمه ، ولو تابع استغلال روحه الفنية التى فطر عليها

وكان تيمور — ولا يزال — مثالاً للقصصى المصرى الخالص ، وقد يكون تناول بالدراسة المدارس الغربيـة . . . ثم ترك نفسه بعد ذلك طليقة ، وأطلق قلمه حراً ، فاذا هو المصرى فى فنه وأدبه

وحياته ، وإذا هو عميق فى مصريته إلى المكان الذى يجب أن يكون عنده المصرى العربى الشعبى

والذى قرأ تيمور فى قصته الطويلة « الاطلال » أو فى قصصه القصيرة التى أخرجها قبل ذلك كتباً ، يلمس فيه ميلاً إلى هذا الفن شديداً ، ويؤمل منه بعد ذلك انقطاعاً للقصة وإيثاراً لها على كل شىء ، حتى يسد بذلك فراغاً يجب ألا يترك شاغراً ، أو يباح هباء للعابثين المسيئين إلى القصة وتاريخها شر الاساءة ..

وكان فريد أبو حديد مصرياً كذلك دائماً ، حين أخرج لنا « ابنة المملوك » و« مذكرات المرحوم محمد » ثم عميقاً فى مصريته أيضاً . ويبدو أن دراسته التاريخية الطويلة ، قد انحرفت به إلى القصة التاريخية فعشقها عشقاً عظيماً ، ولم يرض أن يحيد عنها إلى غيرها من جوانب فن القصة

وإذا كانت دراسة التاريخ قد غمرت نتاجه وأفرغت عليه من لونها فيضاً ، فليس ذلك هو الشىء الذى يتميز به أبو حديد أو يتفرد ، وإنما الذى يتميز به على القصصيين المصريين جميعاً هو الخيال الخصب الذى لا يحد ، والقدرة الفائقة على تصوير الحياة فى غابر العصور أو حاضرها أو مستقبلها

وهذا الخيال ، وهذه الطبيعة ، وهذه الدراسة ، كانت قادرة على أن تجعل من أبى حديد عوناً للقصة المصرية شديداً ، ومناصراً قوياً ، وفارساً مبرزاً ، لو أقبل يدخل الميدان ويوغل فى ثناياه .. وهو القدير على ذلك أى قدرة ..

ولقد كان لنا أن نضع الدكتور طه حسين بك فى عداد القصصيين النابغين ، حين نقرأ له كتابه « الأيام » الذى بلغ به شأواً من الكمال عظيماً ، والذى استطاع أن يفرغ فى سطوره فناً عريقاً ومقدرة فائقة تطالع القارئ فتأخذ عليه حسه . . غير أن الدكتور — فيما عدا الأيام — لا يستطيع أن يكون قصصياً .. ولو أراد الله ووهب الدكتور نعمة الأبصار ، لكسب فن القصة فيه خير نصير وأحسن عون ، ولكان لمصر والشرق العربى أن ينتظرا منه خيراً كثيراً ، لأنه — على حالته تلك — كان يحس إحساس المبصرين ، ويدرك ما يجول بخواطرهم ، أو ما يغمر كياناتهم من عوامل نفسية يدفعها إليهم الوسط الذى يحيط بهم — بكل ما فيه

( البقية فى العدد القادم )

**هلال أحمد شتا**
بسكرتيرية مجلس الشيوخ

# ٥ – دانتى أليجييرى

## والكوميدية الإلهية

## وأبو العلاء المعرى ورسالة الغفران

**الجزء السادس من الإنيد** ( ÆNEID VI )

ذكرنا فى الكلمة الأولى أن دانتى فى كوميدياه كان مقلداً لسلفه الشاعر الرومانى العظيم فرجيل ، وأنه كان يحفظ الجزء السادس من ملحمة الأنيد عن ظهر قلب ، وأنه احتذى فى قصيدته مثال فرجيل ، والآن نعطى القارىء ملخصاً سريعاً لهذا الجزء السادس ليرى أننا لم نكن مغالين حين جزمنا أنه لم يقلد أبا العلاء ولا أسطورة المعراج التى سنعرض لها فى كلة مستقلة

بيد أننا نرى أن إعطاء القارىء ملخصاً موجزاً للجزء السادس من الأنيد دون أن نعرض للأجزاء الخمسة السابقة سيشوه هذا الملخص ويجعله مبتوراً ، وقد يذهب بجمال الأنيد التى تعتبر أطيب طرفة فى الأدب اللاتينى كله ، لذلك آثرنا أن نعرض للأجزاء الخمسة الأولى فى كلة خاطفة نخلص منها إلى الجزء السادس إتماماً للفائدة

سقطت طروادة ، وأضرم الأغريق النيران فيها وروع الأهلون ولاذوا بالبرارى والقفار المحيطة بمدينتهم ، وذهب البطل إينياس Aeneas يبحث عن أبيه وزوجه وولده ليفر بهم من هذا البلد ، ولينجو بعزه التالد ومجده المؤثل من ذل الأسار ، ولكن أباه كان رجلاً شيخاً خائر القوة ، فاحتمله إينياس وانطلق يعدو به فى شوارع المدينة المتأججة ، حتى إذا وصل إلى شاطىء الهلسبنت ( الدردنيل ) افتقد زوجه فلم يجدها ، ووجد عنده طرواديين كثيرين يعتزمون الهرب من وجوه الهيلانيين فجملوه رئيسهم وعملوا فى بناء أسطول ضخم أبحروا فيه إلى تراقيا حيث نزلوا إلى البر وأخذوا فى تأسيس طروادة جديدة بدل طروادة الأسيوية ، لولا أن أوحى إليهم(١) أن هذه أرض ملعونة ، فركبوا فى سفنهم وأبحروا إلى جزيرة ديلوس حيث سمعوا صوت أبوللو يأمرهم (أن يهجروا الجزيرة ويبحثوا عن أرض أبهم الأولى حيث

(١) تركنا هنا أسطورة بوليدور الذى قتله أخيل فى حروب طروادة وذلك لضيق المقام

يعيش شعب إينياس ويحكم وتدين له كل الأمم» ، ولشد ما طرب الطرواديون لهذا النبأ وأبحروا إلى كريد (إقريطش) كما خمَّن لهم والد إينياس ، ولكنهم لم يجدوا ثمة خيراً بل كانت محصولاتهم تصفر وتتلف وأصيبوا بسنين عجاف . ثم رأى إينياس في منامه من يأمره بالهجرة من الجزيرة والابحار غرباً إلى أرض إسبريا Hesperia التي هي إيطاليا الحديثة حيث ولد مؤسس طروادة (داردانوس) وقد نزلوا في طريقهم في جزيرة السعالي[1] ثم أبحروا منها إلى أرض إبيروس حيث وجدوا أندروماك زوجة هكتور بطل طروادة تحكم المملكة وقد تزوجت أحد الأسرى الطرواديين (هلينوس) فخلوا عندها أهلاً ونزلوا في ضيافتها سهلاً وزودتهم بهدايا قيمة وأبحروا إلى جزيرة صقلية حيث مروا بمملكة السيكلوب[2] ثم اقتحموا عقبات جمة وصعاباً كثيرة[3] حتى وصلوا إلى قرطاجنة على الساحل الافريقي حيث وجدوا الملكة (ديدو Dido) تؤسس هذه المدينة الخالدة التي ستكون أقوى خصم ومنافس لرومة في المستقبل . وقد أكرمت ديدو مثوى المهاجرين وتزوجت من إينياس وجعلته ملكاً للمملكة غير متوج[4] . وكاد إينياس ينسى ما سخرته له السماء لولا أن أرسل إليه چوبيتر (زيوس) ولده ميركيورى (هرمز) يأمره بالرحلة

وبعد مجازفات هائلة وصلوا إلى شطئان إسبريا (ميناء سيكانيا) حيث مات والد إينياس وحيث سخرت چونو (حيرا) كبيرة الآلهة على أسطوله من أحرقه . وقد حزن البطل على سفائنه غاية الحزن حتى إنه ما فتئ يصلي للسماء أن تدركه فاستجابت دعاءه وأرسلت صيبا من المطر فأطفأ النيران ، ورأى إينياس في المنام أباه يأمره أن يجول جولة في إسبريا ليلقى (السيبيل Sibyl) لتقوده إلى الدار الآخرة لأنه يريد أن يكلمه ، وهنا يبدأ الجزء السادس من الأنييد

## جولة في العالم الثاني

وذهب إينياس إلى (كيوميه) حيث لقي النبية المباركة (سيبيل) خابئة متخشعة في كهفها السحيق وسط غاب الخلنج والشاهبلوط . وقبل أن يتكلم نهضت إليه وكلمته بكلام فعرف أنها تعلم ما جاء من أجله وأوصته بالصبر والتجلد ، ثم ذكرت له أن لا بد ، قبل الهبوط إلى العالم الثاني ، من أن يذهب في تلك الغابة اللَّفَّاء المشتجرة ، فيبحث في أيكها العظيم ودوحها النامي عن (الغُصن الذهبي) الذي لا بد من حمله هدية لبروزربين (برسفونيه) زوجة بلوتو إله الدار الآخرة

ووصفت له النبية الطريق الذي ينبغي أن يسلك ، ثم أرسلت اليه أمه فينوس حمامتين تطيران أمامه تدلانه في غياهب الغابة ، فما لبث يتبعهما حتى حطتا على الشجرة التي تحمل الغصن الذهبي فتسلقها واقتطعه وعاد به إلى سيبيل . ونهضت النبية ، وقادته إلى كهف منشق وسط الغابة فوق حَيْدٍ وعر من أحياد فيزوف (البركان المشهور) حيث أمرته أن يقدم قرابينه إلى الآلهة بلوتو وبروزربين وهيكاتيه وسائر أرباب هيدز . فلما فعل ، ارتفعت صيحات عظيمة من أغوار الكهف ، ثم نظر فرأى البركان يميد ويزلزل ويكاد يغوص بمن فيه في جوف الأرض ، ثم يسمع عواءً ونُباحاً وَوَعْوَعَة فيتلفت فيرى ذؤباناً وكلاباً تهمهم في جنبات الكهف ، جائية من الظلمة التي تتدجى في آخره ، معلنة قدوم أرباب هيدز . وتوصيه سيبيل بالصبر ! وينطلقان حتى إذا كانا لدى وصيد (عَتَبَة) باب جهنم نظرا فرأيا أشباحاً بربرية مظلمة مربدة الوجوه يسأل عنها إينياس ماهي فتجيبه سيبيل إنها الأحزان والهموم والأوصاب والشيخوخة والخوف والجوع والعناء والفقر والموت . . . وسائر ما في الحياة الدنيا من آلام ... وقد أقامت عندها ربات الذعر Furies فهي تتقلب على فراش خشن من فراش الجحيم ويرى بينها (دسكورديا) ربة الخصام وفوق رأسها — مكان الشعر — حيات وأفاع تتحوى وتنفث سمومها ، ويرى أيضاً طائفة مروعة من الوحوش والضواري والتنانين مثل هيدرا وبرياروس ، فينزعج إينياس ويمتشق سيفه ليحمي نفسه ، ولكن سيبيل تنهاه وتطمئنه فيلملم أذياله ويقتفي أثرها حتى يكونا عند نهر كوكيتوس المتكون من دموع المعذبين . وهنا يريان (خارون) في زورقه الجبار ينقل أرواح الموتى ، كثيرة كأوراق الخريف من عُدوة الى عدوة ، والأرواح تتدافع تريد أن تسبق ، ولكن خارون ينتخب منها الطائفة بعد الأخرى ويدع الآخرين ، فيسأل إينياس فتجيبه سيبيل أن الأرواح التي أديت لها شعائر الدفن الجنائزية هي وحدها التي تعبر النهر . أما التي حرمت فتهيم فوق الشاطئ دون أن تعبر مدى مائة عام أو تزيد

---

(١) Harpies ويروى ڤرچيل هنا أسطورة جميلة نأسف لعدم تلخيصها

(٢) لخصنا هذه الأسطوره في السنة الثالثة من الرسالة

(٣) أغفلنا هنا أسطورة قيمة عن نضال بين حيرا (چونو) ونبتيون

(٤) من أروع فصول الأنييد انتحار ديدو بعد سفر اينياس

حتى يأتيها الفرج ( ! ) . ويجزع إينياس حين يرى فى هؤلاء كثيرين من أصحابه الذين ذهبوا ضحية العاصفة فكانوا من المغرقين ؛ ويشتد حزنه حين يرى فيهم روح ربّانه الشجاع باليينوروس الذى غرق فى الرحلة إلى أسبريا . ويكلمه فيرجوه الربان أن يمد إليه يده فيجتاز به اليم إلى الشاطىء الآخر ، ولا يوشك إينياس أن يفعل لولا أن تنهاه سيبيل !! خشية أن يخرق شرائع بلوتو ، وتطمئنُه فتخبره أن الأمواج ستقذف جثمان صاحبه إلى الشاطىء وسيدفنه الناس حين يرونه . ويتقدمان إلى خارون ليركبا فى زورقه ولكنه يغضب حين يرى إينياس ما يزال حياً ببدنه وعليه عدة حربه وعتاده ، ويسأله بأى حق جاز إلى هنا ، فتتولى سيبيل الاجابة وتخبره أنه لن يأتى محرماً فى الدار الآخرة ، وغرضه أن يرى أباه فحسب ويكلمه ثم يعود أدراجه ؛ وتريه الغصن الذهبى الذى احتمله بيمينه هدية لربة الموتى بروزربين ، فيرضى ، ويبتسم . ويحملهما فى زورقه إلى العدوة الآخرة . وما يكادان يطآن الشاطىء حتى يفجأهما الكلب الخبيث سيربيروس ، ذو الرؤوس الثلاثة تقذف اللهب ، وعليها الأفاعى تنفث السم ، فيوشك يفتك بهما ، لولا أن تقذف له سيبيل كعكة بها مخدر عجيب فيلتهمها ويستلقى على رمال الشاطىء ، ويجوزان قليلاً فيسمعان أصوات أطفال صغار ماتوا قبل أن ينهلوا كوثر الحياة فأقاموا هنا ، وعلى مقربة منهم أرواح الذين ماتوا ضحية تهم باطلة وقد قام بينهم القاضى مينوس يفحص قضاياهم[1] ثم يمران بأرواح اليائسين من الحياة الذين ضاقوا بجدها ذرعاً فماتوا منتحرين . وهم الآن يتمنون لو عادوا إلى الدنيا فيعملوا من الصالحات ما يشفع لهم ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، وينطلقان فيجوزان بدركات الأحزان التى ازينت طرقاتها بأزاهير الآس فيريان أرواح الذين ماتوا دون أن يقضوا مأرباً من حبهم الذى خلعوه على عذارى الدنيا ، فباءوا هنا بألم لا ينجيهم منه حتى الموت نفسه : ويشهد إينياس بينهم روح حبيبته ديدو التى ما يزال جرحها دامياً ينفج ، ويكلمها ويحزن لها ، ثم يبكى بين يديها بكاء مراً[2] ( و . . . حبيبتى ديدو ! ! لا تتهمينى بما أنت فيه من ضنى وتعذيب ! فقد سخرتنى الآلهة لأمر سماوى ؛ وكان لزاماً على أن أطيع ؛ فقفى وكلمينى ، ولا تحرمينى حتى كلمة وداع هينة عليك ! وتقف ديدو بعينى حزينتين تفحصان جمرات جهنم ، وتسير مسافة فيتبعها إينياس ، ولكنه يعود بعد إذ لا يقوى على زفير السعير ! ! ) . ثم يعبران فيمران بأودية أرواح الشهداء ، ويحدق به أصحابه من محاربى طروادة مشدوهين ذاهلين ، يسألونه فيم أقبل ، وحين يلمحه أبطال الأغريق مقنعاً فى حديده مُقرَّناً فى سلاحه تطير قلوبهم ويهربون منه فى أودية النار خوفاً وهلعاً ! وتستحثه سيبيل فيهرول وراءها حتى يكونا عند مفرق طريقين يؤدى أحدهما إلى الفردوس[1] ( إليزيوم Elysium ) والآخر إلى هاوية من هاويات جهنم حيث يقر المجرمون الذين لطخوا حياتهم بالآثام ، ويشهد إينياس على أحد جانبى الطريق مدينة منيفة عالية الذرى ، ذات سور ضخم وبرج مشيد ، تحيط بها أمواه فيليجيتون — أحد أنهار جهنم — وقد وقفت ربة الانتقام المخيفة فى عليائها تحرس طبقات من المعذبين الذين راحوا يملأون الرحب بصراخهم وأنينهم . أولئك قد حسبوا ألا يقدر عليهم أحد فاجترحوا من السيئات ما شوهوا به وجه الحياة . . وهاهم ، قد وقفت على نواصيهم تيزيفون Tisiphone تحاسبهم وتظهر لهم ما أضمروا من الخبائث ، وكلما خلصت من حساب أحدهم قذفته لأخواتها ربات الذعر فتدق عنقه بمقامع من حديد وتشويه بشواظ من نار ونحاس !! وانفتحت بوابة المدينة فجأة ، فلمح إينياس هيدرا هائلة ذات خمسين رأساً تحرس الطريق عندها ؛ وهنا تخبره سيبيل أن هذه الطريق تؤدى إلى جحيم طرطاروس Tartarus ، وهى فى آخر السفل تبعد عنهما بعد السماء من فوقهما ، وفى قرارها يرسف التيتان الذين شقوا عصا الطاعة على جوبيتر كبير آلهة الأولمب . ورأى إينياس جماعات جلوساً حول موائد كثيرة وأمامهم آكال وأشربات كلما وضعوا منها شيئاً فى أفواههم نزعته منها ربة من ربات العذاب مكفلة بهم . ورأى قوماً آخرين يحملون فوق هاماتهم حجارة ثقيلة تكاد تقصمهم . وعلم من سيبيل أن هؤلاء هم الذين كانوا يشاقون آباءهم ويضارون إخوتهم ويخادعون أصدقاءهم الذين وضعوا ثقتهم فيهم ويكنزون الذهب والفضة ولا يجعلون للفقراء نصيباً منهما . ورأى كذلك الذين فسخوا خطبة زواجهم بغير حق

(١) إلى هنا تكاد الأنيد تتفق والجحيم ( من الكوميديا ) فى فصولها الأوائل لا سيا فى وصف الدار الآخرة

(٢) أليس دانتى قد نقد هذه الصورة نفسها فى كوميدياه ؟

(١) هكذا جعل فرجيل جنته تحت الأرض . أما دانتى فقد هذبت المسيحة خياله فجعلها فى السماء وإن يكن لغباوته قد جعل الشمس من أطيب منازل الجنة

والذين حاربوا وطنهم وخانوا أماناتهم وخرقوا الشرائع . ورأى أكسيون وسسفيوس يعذبان عذاباً أليما . ورأى تنتالوس واقفا فى بركة من الماء العذب ومع ذلك يوشك الظمأ أن يرديه كلما انحنى ليشرب هرب الماء وغاض فى الأرض ، ومن فوقه أشجار يانعة ذوات أثمار كلما مد يده ليقطف ثمرة ذهبت فروعها فى السماء فهو أبداً ظامئ جائع

***

وهنا ، ينتهيان من الجوس خلال الجحيم ، وتذكر له سيبيل أنهما سيبدآن رحلتهما إلى الفردوس ( إلزيوم ) ، فتخب به فى طريق دامس شديد الظلمة حتى تصل إلى أحراج نورانية فتكون هى الجنة التى وعد المتقون . وينشقان ثمة نسيما عليلاً [1] ويريان الصالحين مسربلين بسرابيل من أنوار أرجوانية ، وينظران إلى عل فيريان للجنة سماء لها نجومها وشمسها وأقمارها غير ما ترى فى سماء هذه الدنيا . وهناك ، أخذ الفائزون يمرحون ويلعبون ، فبعضهم يضطجع على العشب الأخضر يسامر أصدقاءه ، والبعض يلعب ألعاب الحياة الدنيا من مصارعة وجرى ورماية ، وآخرون يرقصون ويتغنون الأغانى . وفى هؤلاء أقام أرفيوس الموسيقى يشنف آذان أهل الجنة بقيثارته . ثم رأى إينياس فى أولئك الأبرار مؤسسى طروادة وأبطالها الأطهار الذين حاربوا الهيلانيين وعليهم حلل الاستبرق والغار ، ومعهم أرواح كثيرة مطهرة من القديسين والشهداء والشعراء الذين نظموا قصائدهم فى تمجيد أبوللو . وآخرين زانوا الحياة الدنيا بعلومهم وفنونهم [2] وقدموا يداً بيضاء لأخوانهم فى الانسانية . وكان هؤلاء يلبسون طيلسانات بيضاً وقراطق من حرير ، وقد سألتهم سيبيل إذا كان أنخيسز ( والد اينياس ) بينهم ، فأذنوا لها أن تبحث عنه بين جموعهم الزاخرة ؛ ثم لقيته فى واد نضير ذى فواكه وأثمار فعرفه ابنه ، ومد الوالد ذراعيه يعانق ولده والدمع ينهمر على خديه ويروى لحيته : « وأخيراً أتيت يا إينياس ! ياولدى ! كم حنت روحى إليك وكنت فى خشية عليك مما أعرف من حياتك التى تلطخها دماء الحروب ويغطشها قتار المعامع ! » فيجيبه ابنه « أبتاه ! ليفرخ روعك فان صورتك كانت أبداً ماثلة نصب عينى فكانت تقودنى الى الخيرات وترشدنى الى الصالحات ! » ثم يحاول أن يعانق أباه ، ولكن ... إنه لم يعانق إلا شبحاً ! !

ونظر إينياس فرأى وادياً مخضلاً سامق الشجر بليل النسيم يجرى من تحته نهر ليث العظيم ، وفى جنباته أمم شتى من أرواح الصالحين كثرت كثرة هائلة حتى لكأنها أسراب النحل فى إبان الربيع . ويسأل صاحبته عن هؤلاء فتقول سيبيل : «أولئك أرواح المؤمنين تنتظر يوم البعث فتعود إلى أجسادها فتلبسها [1] وهى تشرب النسيان من ليث ليشغلها عن توافه الحياة الدنيا ! »

ويسأل أباه إينياس فيقول : « أبى ألا تكون الحياة الدنيا محببة عند أحد من هؤلاء فيؤثرها على ما هو فيه الآن من طيبات فهو يود لو يعود إليها ؟ » وهنا يأخذ الأب فى شرح طويل عن بدء الخلق وعن العناصر التى صنع الله منها العالم ( النار والهواء والأرض والماء ) وأن هذه باتحادها ينشأ عنها اللهب الذى صنع الله منه الأرواح العلوية وقد انتثرت بذرة من اللهب المقدس فاختلطت بالأرض فصنع منها الآلهة السفليون الانسان والحيوان وكلما كبر الانسان قلت فيه بذرة اللهب المقدس وصغرت وخبثت نفسه لأن كمية الطين تزداد فيه ولذا تجد الأطفال لصغرهم ولقلة كمية الطين فيهم أكثر طهراً وأجم نقاء من الكبار . ولا بد للعبد المؤمن قبل دخول الجنة من إزالة الطين الذى اندس فيه وذلك بترويحه فى الهواء ، أو غسله فى الماء أو تحريقه بالنار ليخلص من الشوائب والدنايا وليستحق أن يكون من أهل ألزيوم . أما الصالحون فيرتدون إلى الحياة متقمصين أجساد القطط والذئاب والكلاب والسعالى والقرود فتزداد بهم الدنيا قبحاً على قبح . وقد يعود بعض الصالحين كذلك ليطهروا الدنيا من دنايا هؤلاء

ثم يحدث أنخيسز ابنه عما ينتظر أن يتم على يديه من تكوين مملكة عظيمة فى إسپريا وعن جلائل الأعمال التى ستتم فيها على يديه وأيدى ذراريه . ويحدثه كذلك عن الحروب التى سيخوضون غمارها والمعارك التى سينتصرون فيها والزوجة الجميلة التى سيفوز بها ، وطروادة [2] الجديدة التى سيشيدون دعائمها فلا يمضى طويل حتى تكون سيدة العالم

ثم يسلم الولد على والده ، وتعود به سيبيل من طريق مختصر إلى هذه الحياة الدنيا

( للبحث بقية ) د . خ

(١) حتى هذه استعملها دانتى حينما خرج من الجحيم الى المطهر

(٢) هكذا ينصف ڤرجيل العلماء والفنانين !! فيا لهذه من جنة إذن ؟

(١) لعل هذا الايمان ببعث الأجسام لقاح أصاب رومة عن طريق مصر

(٢) هى رومة بالطبع

# أبو الطيب المتنبي *

للأستاذ محمد محيي الدين عبد المجيد

## موضوعات هذا البحث

وبعد فلقد فكرت طويلاً فيما عسى أن يكون موضوع كلمتي التي أتشرف بالقائها بين يديكم من مناحي المتنبي ، وعرضت مسائل البحث على خاطري ، فكنت كلما فكرت في أمر وجدت له ما يبرر التوجه إليه ، ووجدت مع ذلك من الشبهات ما يذودني عنه ويقطعني عن الاسترسال فيه ، ولكني استطعت في آخر الأمر أن أقنع نفسي بأنني وافد الأزهر إليكم ، وبأن الأزهر هو المعهد الذي يقوم على حراسة الدين أصوله وفروعه وعلى حياطة العربية وآدابها ، وبأن بحث من يمثل الأزهر يجب أن يكون متصلاً بما يؤديه الأزهر للعالم من أمانة وما يضطلع به من أعباء ، فاستقام عندي بعد هذه المقدمات أن يدور بحثي حول « دين المتنبي وأخلاقه وتنبئه وموقفه من النحاة » ؛ وما كدت أنتهي من ذلك الأمر وأخلص من التفكير بهذه النتيجة حتى عرض لي أمر آخر ألقيت له بالي كله ، وذلك الأمر هو المقصود بهذا المهرجان : أهو تقريظ المتنبي والثناء عليه ، إما باطرائه وكيل المديح له إن حقاً وإن باطلاً ، وإما بإثارة الجميل من أخباره وشعره والاعراض عما عسى أن يغض من شأنه ، أم هو بحث المتنبي من جميع وجوهه لوجه الحق من غير تمنت ولا تحيز ؟ ولم أزل أفكر وأقدر للأمر حتى أيقنت أن هذا الحفل الذي يجمع أقطاب الأدباء والعلماء من كل قطر لا يمكن أن يستوي عنده الأمران فان فرق ما بينهما أوضح من أن يدل عليه . وأي إنسان يستطيع أن ينسى الفرق بين حفل يجتمع لتكريم رجل وبين حفل يجتمع فيه صفوة الأدباء لدراسة رجل من رجال الأدب كان له أشياع وأعداء ، وكان أشياعه ينشرون ممادحه ويذيعون فضائله ويتأولون له ، وكان أعداؤه يملأون الأرض ضجيجاً حوله ويرمونه بكل نقائص الانسانية وهم لا يتورعون عن الكذب فيما يحدثون به من أخبار . أليس من أول ما يلزم الباحثين أن يعرضوا مقالات أعدائه وشيعته جميعاً على موازين البحث الصحيحة ليخلصوا بنتيجة ترضى العقل وتسد حاجة التفكير غير مبالين أن تكون هذه النتيجة مما يتمدح به أو مما يعده الناس نقصاً ؟ فان أنا عرضت عليكم شيئاً من هذا فهذه معذرتي وهذا رأيي ، ولعلي لا أكون قد أبعدت أو جانبت الصواب فيما ذهبت إليه

(*) وهي الخطبة التي ألقاها الأستاذ في مهرجان المتنبي في المجمع العلمي العربي بدمشق باسم الأزهر

## دين المتنبي

أيها السادة ! لقد مني أبو الطيب المتنبي بصنفين من الناس كان لكل واحد منهما من الأثر في حياته وفي أخباره التي نتوارثها إلى اليوم أقبح الأثر ، ولولا هما لعاش الرجل عيشة هادئة ، ولولا هما لكانت صحيفته في تاريخ الشعر والشعراء غير الصحيفة التي نقرؤها اليوم ، ولولا هما لما وجد الباحث عنه هذا الغموض وهذا التناقض اللذين يعانيهما الآن . أما أحدهما فجماعة من ذوي المكانة بين الناس وأصحاب الجاه خافوه على أنفسهم ورهبوا أن تمتد مطامعه إلى مكانتهم وجاههم ، أو طمعوا منه في أن يتملقهم ويرائيهم فيرد حضرتهم كما كان غيره يردها وكما كان هو يرد حضرة غيرهم من الملوك والأمراء فلم ينالوا ذلك منه ، أو دفعت أبا الطيب نوازع نفسية فنال من أعراضهم فكانوا لأحد هذه الأسباب أولها كلها مجتمعة يحنقون عليه ويغضون من شأنه ، وكانوا مع ذلك يؤلبون عليه الشعراء والعلماء لينالوا منه ويؤذوه في نفسه وفي شعره . وكان أبو الطيب يخشاهم ويرهب سلطانهم ، بل لم يكن يخشاهم على نفسه فحسب ، وإنما خشيهم على بعض أصدقائه ومن يشفق عليه ، فقد حدث أبو اسحاق الصابي قال : « راسلت أبا الطيب رحمه الله في أن يمدحني بقصيدتين وأعطيه خمسة آلاف درهم ووسطت بيني وبينه رجلاً من وجوه التجار ، فقال : (قل له والله ما رأيت بالعراق من يستحق المدح غيرك ، ولا أوجب علي في هذه البلاد أحد من الحق ما أوجبت ، وإن أنا مدحتك تنكر لك الوزير (يعني أبا محمد المهلبي) وتغير عليك لأنني لم أمدحه ، فان كنت لا تبالي هذه الحال فأنا أجيبك إلى ما التمست وما أريد منك مالاً ولا عن شعري عوضاً ) ، فتنبهت على موضع الغلط ، وعلمت أنه نصح فلم أعاوده اهـ » . وأما الصنف الآخر فجماعة ممن كانوا يأملون أن تكون لهم المنزلة التي أدركها من الحظوة عند الملوك ، وحرص كل واحد منهم أن يكون أبو الطيب من بطانته وتنافسهم في ذلك ، فلما لم يبلغ هؤلاء المؤملون هذه الأمنية

أكل الحقد عليه قلوبهم ، واشتعلت جذوة الحسد بين جوانحهم ، فتفننوا فى القول عليه والدس له ، ونشروا عنه من القبائح ما لم يكن يعلم من أمره أكثره شيئاً ؛ ولم يكتفوا بأن يعملوا على إبعاده عن الملوك الذين كان التقرب إليهم منتهى آمالهم ، بل حاولوا التفريق بينه وبين الجمهور ، فجاؤوه من ناحية الدين ثقة منهم أن للدين فى نظر جمهرة الناس وعامتهم المنزلة الأولى ، فاذا أتى الرجل من جهته فقط سقط وإن بقى له كل شىء

رموه بأنه كان رقيق الدين تاركا لأركان الاسلام ، ورموه بأنه كان يستخف بالأنبياء ويستصغر شأنهم ، ورموه بأنه ذهب فى الفلسفة مذهباً بعيداً عما يعتقده المسلمون ؛ وقد نسوا حين رموا أبا الطيب بذلك كله أن دين الاسلام شديد الصرامة فى حكم هذه المسألة ، وأنه لا يحل لمن يعتنقه أن يرمى أخاه بأمثال هذه التهم لأرضاء حفيظة نفسه حتى يكون بين يديه دليل لا يقبل التأويل

ولسنا حين نتشكك فى أخبار هؤلاء الناس أو ننكر استنتاجهم ندعى لأبى الطيب أنه كان رجلاً صالحاً ورعاً يقوم الليل ويصوم النهار ويطيل العبادة وقراءة القرآن ، ولكنا نفعل ذلك لنقرر أن حياة أبى الطيب قد أحاطها أعداؤه بكثير من الغموض وأحاطوها مع هذا الغموض بكثير من الأكاذيب والمفتريات كان من شأنها أن تريك حياته سلسلة من المتناقضات

حكى على بن حمزة البصرى قال : « بلوت من أبى الطيب ثلاث خلال محمودة : وتلك أنه ما كذب ولا زنى ولا لاط ، وبلوت منه ثلاث خصال ذميمة : وتلك أنه ما صام ولا صلى ولا قرأ القرآن » وهذا خبر لم يذكر قائله معه رجها يقربه من الصدق . وهل يستطيع إنسان فى الدنيا أن ينفى عن آخر فعل شىء حتى يزعم أنه لزمه طول حياته فلم يفارقه وأنه ما رآه يفعله قط ؟ ثم إن أمر الصوم فى حديث على بن أبى حمزة أهون من أمر الصلاة وقراءة القرآن ، فهو يستطيع أن يدعى مرة أخرى أنه رأى أبا الطيب كل عام فى شهر رمضان فى حلب ومصر والعراق وشيراز وسائر البلاد التى وطئها قدما أبى الطيب ، وأنه رآه مع ذلك يأكل أو يشرب نهاراً ، يستطيع أن يدعى هذا كله وحينئذ يتم له ما أراد من أنه بلا من أبى الطيب خلة ذميمة وهى أنه ما صام ، ولكن أنى له أن يدعى ذلك . فأما أمر الصلاة وقراءة القرآن فنحن نسائله : أكان قد لزم أبا الطيب فى مغداه ومراحه ومتيقظه ومنامه حتى يستطيع أن يزعم أنه ما صلى ؟ وشىء آخر ، ذلك أنه بلا منه خلة محمودة وهى أنه ما كذب ، فهل سأله عن صلاته وقراءته القرآن فحدثه وصدقه الحديث أنه ما صلى ولا قرأ القرآن ؟ والحق أن على بن حمزة البصرى رجل أراد أن يرمى أبا الطيب بما رمى به أمثاله أمثال أبى الطيب من قبل ، وبما لا يزال أمثاله يرمون به أمثال أبى الطيب إلى اليوم . يريد بذلك أن يرضى خصوم أبى الطيب أو يشبع شهوة الانتقام منه ، وأراد أن يعمى على الناس ويحملهم على تصديقه ، فذكر فى صدر حديثه أنه بلا منه ثلاث خلال محمودة ، وهذه العبارة فيما نعلم من أمر الناس احدى الدلائل على اختلاق الحديث . هذا وقد ذكر أبو العلاء فى شأن صلاة أبى الطيب قال : « وحدثت أن أبا الطيب أيام كان اقطاعه بصف رؤى يصلى بموضع بمعرة النعمان يقال له كنيسة الأعراب ، وأنه صلى العصر ركعتين ، فيجوز أن يكون رأى أنه على سفر وأن القصر له جائز » فهل يمكن أن يكون خبر على بن حمزة بعد ذلك موثوقا به ؟ فأما تأول المتنبى وأنه رأى أن القصر له جائز فأمر آخر ليس بحثه من شأننا الآن ؛ وقراءة القرآن التى زعم على بن حمزة أن أبا الطيب لم يفعلها ، أفى الناس من يعقل أن رجلا نشأ على حفظ اللغة واستظهار غريبها ، والتنقل فى البوادى ليلقطها من أفواه الأعراب يجد القرآن بين يديه وهو كتاب لغة وأسلوب وفكر ، فوق أنه كتاب هداية وخلق وآداب ، ثم لا يقرأه ليتأسى به ويتقيل أساليبه ويتخذ من اطراد منطقه وإحكام الحجة فيه منهجاً لنفسه ؟ ونحن نذكر لعلى بن حمزة أن أبا الطيب قد قرأ القرآن وفهمه ، ونذكر له مما يشير إلى ذلك قوله من قصيدة يمدح بها كافوراً :

كأن كل سؤال فى مسامعه ... قميص يوسف فى أجفان يعقوب

وقوله من قصيدة يمدح فيها محمد بن زريق الطرسوسى :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه ... لما أتى الظلمات صرن شموسا
أو كان لج البحر مثل يمينه ... ما انشق حتى جاز فيه موسى

فأما ما ذكروه من استخفافه بالأنبياء واستصغاره شأنهم وعدم مبالاته بأصول العقيدة ، فقد رأينا فيما جمعناه من كلام أبى الطيب مما هو متصل بهذه المسألة أن بعض ما ذكروه أهون من أن يؤبه له كقوله :

ما مقامى بأرض نخلة إلا ... كمقام المسيح بين اليهود

وكقوله :

إنا فى أمة تداركها الله غريب كصالح فى ثمود

وأى شىء فى أن يشبه نفسه وهو يقيم بين قوم يعتقد أنهم أعداؤه بالمسيح عليه السلام حين أقام بين اليهود ؟ وأى شىء فى أن يدل على أن بقاءه بين قوم لا تجانس بينه وبينهم غربة تشبه غربة صالح عليه السلام ، إذ كان يعيش فى وسط لا يرون رأيه ؟ وبعض ما أخذوه عليه تجد له محملا فى الكلام لو أنت حملته عليه لم يكن به بأس ، وذلك كقوله فى قصيدة مدح بها الحسين ابن اسحاق التنوخى :

فما ترزق الأقدار من أنت حارم وما تحرم الأقدار من أنت رازق

فانه يمكن أن يكون قد أراد أن الحسين بن اسحاق رجل موفق إلى السداد وإصابة المقادير فهى تجرى دائماً موافقة لما اهتدى إليه ولا شىء فى ذلك فيما نظن . وأما بقية ما أخذوه عليه فداخل فى باب المبالغة التى تجرى على ألسنة الشعراء وهى لم تخالط قلوبهم ، وأبو الطيب كثير المبالغة فى شعره ، ونحن نأخذها عليه من الناحية الأدبية ولا نستدل بها على فساد عقيدته ؛ فمن ذلك قوله فى مدح محمد بن زريق :

لو كان للنيران ضوء جبينه عبدت فصار العالمون مجوسا

ومن ذلك قوله من قصيدة يقولها فى صباه :

عمرك الله هل رأيت بدوراً طلعت فى براقع وعقود

راميات بأسهم ريشها الهد ب تشق القلوب قبل الجلود

يترشفن من فمى رشفات هن فيه أحلى من التوحيد

وقد اعتذر الناس عن قوله : « هن فيه أحلى من التوحيد » بوجوه : أحدها قاله ابن جنى وملخصه إنكار هذه الرواية ، والرواية عنده « هن فيه حلاوة التوحيد » وقد سرى إلى ابن جنى داء النحاة فى تحريف الشواهد وتغييرها على ما يوافقهم . والوجه الثانى : « تفسير التوحيد بأنه تمر من تمار العراق حلو المذاق ، والوجه الثالث قاله العكبرى وملخصه أنه ليس المراد تفضيل حلاوة الرشفات على حلاوة التوحيد ، وإنما المراد تقريب حلاوتها من حلاوته لأن حلاوته ثابتة غير مشكوك فيها وحلاوتها غير معروفة ، وذانك الوجهان من باب التمحلات البعيدة كما ترون ، وليس لنا إلا أن نعترف بأن هذا غلو أفرط فيه أبو الطيب فتجاوز الحد . ومن ذلك قوله من قصيدة مدح بها أبا شجاع عضد الدولة

الناس كالعابدين آلهة وعبده كالموحد الله

وقوله من قصيدة مدح بها بدر بن عمار :

لو كان علمك بالإله مقسما فى الناس ما بعث الإله رسولاً

لو كان لفظك فيهم ما أنزل الـقرآن والتوراة والانجيلا

وكل هذا من الغلو البعيد كما قدمنا ، ونحن نعتب عليه أنه قد أسلس العنان لفكره حتى جال فى هذا الميدان ، فلا بدع أن يمتلئ من غباره وتصيبه إحدى قذائفه

فأما ما اتهموه به من الذهاب فى فلسفته مذهباً لا يقره الاسلام فأنى أبادر بانكار ذلك عليهم وأعرض عليكم شيئاً مما ذكروه لتتبينوا بأنفسكم أنهم لم يكونوا منصفين حين نسبوه إلى ما نسبوه إليه ؛ زعموا أنه أنكر المعاد لقوله :

تمتع من سهاد أو رقاد ولا تأمل كرى تحت الرجام

فان لثالث الحالين معنى سوى معنى انتباهك والمنام

وأى دليل فى هذا الكلام على انكار المعاد ؟ وأى شىء فى أن تقول : « إن للموت معنى غير معنى النوم واليقظة ؟ ومن ذا الذى يزعم أن معنى الموت هو معنى النوم واليقظة أو أن حال الانسان فيه كحاله فيهما » وزعموا أنه يرى رأى السوفسطائية الذين ينكرون ثبوت حقائق الأشياء لقوله :

هون على بصر ما شق منظره فانما يقظات العين كالحلم

ولو كان ذلك من مذهب السوفسطائية لما جاز لأحد أن يشبه شيئاً بضده إذا اشتركا فى أمر من الأمور ونحن ما نزال نسمع الناس يقولون إن نوم فلان ويقظته سواء إذا كان لا يستفاد من يقظته أو كان لا يجد الراحة فى نومه كما لا يجدها فى يقظته . ومازال نسمعهم يشبهون الموجود بالمعدوم والمنير بالمظلم . وهكذا يجرى على الألسنة من غير أن يلتفت أحد الى هذا الذى زعموه ونسبوه الى القول بقدم العالم مستنتجين ذلك من قوله فى قصيدة رثى فيها أخت سيف الدولة :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم إلا على شجب والخلف فى الشجب

فقيل تخلص نفس المرء سالمة وقيل تشرك جسم المرء فى العطب

وهذا استنتاج لا يقضى العجب منه ، بل أنا أصارحكم — ولا ضير على فى ذلك — بأننى لم أعرف وجه هذا الاستنتاج ،

من (الكتاب الذهبي) قبل أن يطبع

# لغة الأحكام والمرافعات

للأستاذ زكي عريبي

— ٣ —

### مطابقة المرافعة لمقتضى الحال

إن أهمها بلا شك هو مطابقتها لمقتضى الحال . فللاسهاب منها مواضع وللايجاز مواضع . يجب استعمال اللفظ المجلجل مرة والسهل البسيط أخرى . يغلب المنطق هنا والعاطفة هناك حسب الظروف والأحوال

وليس يستطيع هذا إلا المتكلم المصقع المتصل بالأدب بأوثق صلة ، العالم بطبائع الناس العارف لمواقع الكلام ، المتصرف في أنواعه المختلفة بما يريد ويشتهي

كفايات صعبة بلا شك ، ولكنها لازمة أدرك الأقدمون ضرورة توفرها فيمن اتخذ الكلام صناعة . فكان محامو اليونان أفصح أهل زمانهم وأعلمهم . وسار الرومان في أثرهم فلم يكن لطلاب البلاغة في عهدهم غير ساحة القضاء يقصدونها للأخذ عن أئمتها وحاملي لوائها من المترافعين البرزين أمثال أنطونيوس وهورتنسنس وشيشرون . ثم تجددت هذه الحال في عصر النهضة فكان على طالب المحاماة بعد الفراغ من دراسة الحقوق أن يتنسك أربع سنوات يقضيها متأملاً باحثاً قبل أن يقدم على المهمة المقدسة الكبرى — مهمة الدفاع

وقد بلغ من إغراق الأسرة القضائية في ذلك العهد في التأدب أن أصبحت المرافعات والأحكام عبارة عن اقتباسات مكدسة من كتب اليونان والرومان تلوح بينها الألفاظ الفرنسية وتختفي

بل إنك لتقرأ في أخبار ذلك الزمن أن باسكييه أشهر محامي القرن السادس عشر أورد في إحدى مذكراته بيتاً لاتينيا لم يشر إلى قائله ووقعت المذكرة في يد دي نو قاضي القضاة فلم يشأ أن يحكم في الدعوى حتى يعرف مصدر الشعر

وبقي الاتصال وثيقاً بين الأدب والقانون خلال القرن السابع عشر والذي يليه . فأصبح من تقاليد المجمع اللغوي تخصيص أحد كراسيه لأبرع المحامين أدباً . وكان يشغل هذا الكرسي في عصرنا الحاضر إلى عهد قريب النقيب الأشهر المرحوم هنري روبير

وتجد مثل هذه الرابطة بين الأدب والقانون في انجلترا ، فكثير من أشهر أدبائها شغلوا كراسي القضاء أو لبسوا رداء المحاماة

وقد بقيت لغة الأحكام والمرافعات في مصر سقيمة تافهة حتى دخل الميدان أمثال محمد عبده وحفني ناصف ومحمد صالح وقاسم أمين وسعد زغلول فرقوا بها إلى طبقات لم تكن تحلم بها

وهذه الصلة ما زالت إلى اليوم معقودة يوثق عراها أعلام من أدباء العصر ، فالدكتور هيكل كان محامياً ، وفكري أباظه والدكتور مرسي محمود ولطفي جمعه محامون مشتغلون . وكان على رأس محكمة النقض والنيابة العامة أديبان لم تسعد اللغة القضائية حتى الساعة بخير من قلميهما

* * *

لغة المحاكم إذن جزء من أدب كل أمة . ليس لها عنه غنى وله فيها كل الغناء

لا غنى لها عنه لأنها من دونه ضئيلة عليلة مملة مسئمة

وله فيها غناء لأنه يجد في ساحتها ميداناً مترامي الأطراف

---

ولو استنتجوا من هذين البيتين أنه ينكر المعاد لكان لاستنتاجهم وجه . على أنه إذا صح أن يكفر رجل بهذا الكلام وجب أن نحكم على علماء المسلمين عامة بالكفر ونحكم بذلك بادئ الأمر على المشتغلين بعلم الكلام والرد على فرق الملاحدة ، ذلك بأنهم يحكون لنا أقوال الكفار كما حكاها أبو الطيب في هذين البيتين ، بل إن علماء المسلمين أولى بهذا الحكم منه لأنهم يذكرون مع ما يحكونه من الآراء شبهة أهل هذه الآراء ، وقد يصورون شبهاتهم في صورة الأدلة ؛ يجب عند خصوم أبي الطيب أن يكون علماء المسلمين كفارا وان لم يعتقدوا ما يحكونه من آراء وان كان عندهم من الأدلة على بطلانها ما لا يدخل في حساب أحد ، وفي الحق أن أعداء أبي الطيب لم يكونوا موفقين فيما رموه به ، وأن أبا الطيب نفسه لم يسعفه التوفيق في كل ما جرى على لسانه

(له بقية)

محمد محيي الدين عبد الحميد
المدرس بكلية اللغة العربية

تلتقى فيه الحقيقة بالخيال ويسعد قلم الأديب بمواضيع لا حد لكثرتها ولا تباينها . فمنها العظيم الفخم ومنها الصغير الدقيق . فيها الباكى المفجع وفيها الفكه الضاحك . الانسانية كلها هنا ، بأفراحها وأتراحها ، بآلامها وأحلامها ، بنبلها وضعتها ، بخيرها وشرها . فالقلم الذى لا يجرى فى هذه الحلبة الواسعة خير له أن يكسر

ولكن للغة المرافعات مع ذلك خصائصها ولها مميزاتها

**لغة المرافعات لغة حديث لا كتابة**

إنها قبل كل شيء لغة حديث لا لغة كتابة

وإن كان للحديث على الكتابة مزايا فان له متاعبه وله صعابه

فمن مزاياه أن المحدث يلقى السامع وجهاً لوجه ؛ وفى استطاعته إذ يلقاه على هذه الصورة أن يستعين على اقناعه بلسانه وعينه ، بصوته واشارته ، بحركته وسكونه ، ببديهته ودقة ملاحظته ، بل بما فيه من قوة مغناطيسية كامنة

ولكن يقابل هذه المزايا أن المحدث مضطر بحكم طبيعة الموقف إلى الابتكار السريع والكلام المرتجل ومواصلة الحديث فى غير توقف ولا تردد

فكيف يجب أن تكون لغته ؟

إن أولى صفاتها من غير شك بساطة التعبير

بل قل إن هذا الشرط شرط ضرورة ؛ فقد يملك الكاتب أن يستعمل اللفظ المنمق ، وأن يحتال على المعانى البعيدة ، وأن يطلق العنان للخيال فيواتيه بصور شعرية رائعة . ولكن شيئاً من هذا غير مستطاع ولا ميسور لمتكلم تكتنفه صعاب الارتجال ، وتستحثه الحاجة الملحة إلى افهام سامع يرمقه بعين تتسع انتظارا قد ينقلب فى لحظة إلى تململ أو سآمة

صحيح أن الطبيعة لم توات جميع الناس بالبديهة الحاضرة التى تستطيع الكلام عفوا ، فهم مضطرون إلى تحبير مرافعتهم ثم إلقائها . ولكن حتى هؤلاء يجب أن يكتبوا بغير اللغة المعدة للقراءة ، إن عليهم أن يتصنعوا لغة الارتجال ؛ وليس هذا بميسور إلا أن يحتذوا حذو محام نابغة يدعى فارير ، تكلم عن طريقته فى كتابه الممتع فقال إنه يرى صامتاً مفكراً مدى أيام كلما اعتزم الدفاع فى قضية هامة ، فاذا ما كان قبل الجلسة بقليل اعتكف فى مكتبه ثم جلس للكتابة فأطلق العنان لقلمه لا يلوى على شيء مما يعنى به الكاتب من فصل أو وصل ، وبعبارة أخرى إن الرجل كان يترافع بقلمه فى القضية متمثلا أنه أمام المحكمة ، حتى إذا فرغ طوى صحفه وقام عنها وقد رسمت هذه المرافعة المكتوبة فى رأسه معالم واضحة توجه فكره إذا ما وقف للدفاع ، وتقيه شر جموح الخاطر دون أن تمنع تدفق بيانه المطابق لمقتضى الحال

**العاطفة فى لغة المرافعات**

وليس أجمل فى لغة المرافعات بل ليس ألزم من غلبة العاطفة فيها

إن كلام المحامى ليبقى مجرد كلام لا طائل تحته حتى تغشاه عاطفة صادقة فتصبح له قوة السحر . وقديماً قالوا إن القول ينفذ إلى القلب إذا صدر من القلب . ولكن كيف السبيل إلى مثل هذا القول ؟ ليس أعصى فى موضوعنا من التعبير عما تقصد « بالعاطفة » هى لا شيء . وهى كل شيء

يقف محاميان يطلبان الرأفة لمتهم ، فيفوه أحدهما بكلام لا يعدو السمع . ويقول الآخر قولاً يهز القلوب هزاً

كلاهما يترافع بالعربية . وكلاهما يستعمل كلمة الرأفة أو الشفقة . فكيف يتفاوت أثر مرافعتهما هذا التفاوت ؟

فتش وابحث وسل علماء النفس ينبئوك بأن واحداً من الاثنين حساس يستشعر ما يقول ويتأثر به فتنتقل منه عدوى التأثر إلى الغير

والتأثر لكى يكون له هذا الأثر يجب أن يكون صادقاً . وهو لا يكون صادقاً إلا أن يصدر عن يقين واقتناع

وإن تعجب لشيء فاعجب لهذا الاقتناع يبدو لك صادقاً — وهو صادق بالفعل — فى قضايا يستحيل على العقل أن يصدق أن كلام المحامى فيها وليد الاقتناع وليس فى الأمر مع ذلك معمى

ذلك أن المحامى القادر إذا ما أخذ على عاتقه المرافعة فى قضية صعبة راح يفكر فى صعوبتها ورائده الرغبة فى التغلب عليها وتلح عليه هذه الرغبة وتلحف بقدر ما يستعصى المخرج ويبعد الحل . ثم ينتهى الأمر بتذليل المحامى للعقبة أو اعتقاده أنه ذللها . وفى

هذه الحالة الثانية تطغى الرغبة على العقل وتستعبده ، وقد يكون جباراً قوياً يندفع بقوة الإيمان الصحيح

جمعني وأستاذي الكبير مرقس فهمي قضية مخدرات كان المتهم الأول فيها رجلاً معروفاً . ولم يكن في القضية منفذ لأبرة لا من حيث أدلتها ولا من حيث أدبياتها . فالمتهم ضبط متلبساً بالجريمة ولم يكن له عذر مقبول من أي نوع . بل بالعكس كانت الأسباب تحتشد وتتضافر لأخذه بالشدة ، فقد كان الرجل مثقفاً غنياً لا يشفع له جهل ولا مسيس حاجة . فجئت الجلسة وكلي آذان لسماع مرقس فهمي . ما ذا يستطيع الأستاذ العظيم أن يقول في هذه القضية اللعينة ؟ أي دفاع يتحسس وأي عذر يتلمس ؟ جلست أترقب وأنتظر . وأخيراً وقف مرقس للكلام . فاذا به يهاجم هذا الحصن المنيع من أكثر نواحيه منعة وأقلها توقعاً للهجوم . أجل لقد أخذ مرقس القضية عنوة من ناحيتها الأدبية ، متوسلاً بما لاحظه من أن التحقيق كان سرياً فيها وأن المحامين قد منعوا عن حضوره . وانظر اليه كيف رقي بقضيته التاعسة من أعماق الحضيض الى سماء الرفعة ، يجعلها مثار الكلام على الضمانات التي يشترطها القانون لصحة التحقيق وقدسية مهمة المحامي . أنظر إليه كيف يبدأ هذا الدفاع المجيد وقل إن في مصر محامين :

« نحن المحامين نعالج آلام الناس ونرافقهم في شقائهم ، ولهذا نرتدي الثوب الأسود ونقف في هذا المكان المنخفض . فاذا ما أعيانا التعب جلسنا على هذا الحجر الصلب فيزيدنا تعباً . فنحن حقيقة بؤساء ، رفقاء البؤساء . ولكن برغم هذه المظاهر الخداعة فان الذي في قلبه إيمان بالحق يرتفع من هذا المركز المتواضع إلى السمو الذي لا حد له . ذلك لأن عماده كله الحق ، ولأن مأمورية المحامي تمثل حق الدفاع المقدس . والقداسة لا تحتاج لسلطة ولا تحتاج لمظهر قوة بل هي جميلة ، جميلة بنفسها مهما كانت مظاهرها . مظاهر التعس والتواضع ، ولأن المحامي مأموريته التي تسمو به إلى أقصى ما يعرف من معاني السمو هي أن يوجه ضمير القاضي وأن يحدثه فيما يصح أن يتجه إليه عدله . فحقيقة لا يوجد سمو آخر يمكن أن يتصور

قلت هذا لا تفاخراً بموقف المحامي ، لأن الذي يدرك واجبه ليس في حاجة — بل عيب عليه — أن يفخر ، لكني قلته ليعلم حضرة القاضي أني أعاهد نفسي بألا أعرف لها كرامة إلا إذا تقدمت إلى ضميره بكلمة الحق ، وفي هذا السبيل فليقفني في الكلام حضرة وكيل النيابة في الوقت الذي يريده . إلى أن قال :

« إن التحقيق ليس هو ما يكتب لا . لا . التحقيق هو أولاً وبالذات الضمانات ، احترام الكفالات التي قررها القانون في حق المتهم . كيف تستجوبه ؟ من هو الشخص الذي وضع فيه الشارع ثقته في أن يتلقى هذا المتهم المسكين وديعة في يده ليتصرف في شأنه ،لعله يعنفه ، لعله يخدعه ، لعله يمنيه ، لعله يخيفه أو يهدده . فحتى لا تكون قداسة القضاء مستندة إلى تلك الطرق المخجلة المعيبة قال المشرع إن المتهم في حماية النيابة وحدها ، والمتهم أول ما تقربه النيابة تستجوبه في ساعات ٢٤ ساعة . والمتهم إذا حبسته له ضمانة معينة . والمتهم يا سيدي القاضي لا يقابله أحد في سجنه حتى إذا أراد المحامي أن يقابله . المحامي ممثل حق الدفاع إن رأى أن يقابله ليأخذ سر هذا المسكين . لا يقابله إلا باذن

ولكن ماذا جرى في هذه الدعوى ؟ جرى أن المتهمين جميعاً قذف بهم يا حضرة القاضي إلى هوة من النار »

ويذكرني تلمس مواضع الاحساس هنا بما يرويه هنري روبير عن سلفه العظيم لاشو إذ قبل أن يضطلع بمهمة الدفاع عن القائد بازين أمام المجلس الحربي الأعلى في قضية اتهامه بالخيانة العظمى في حرب السبعين . وكان مركز المتهم بالغاً نهاية السوء ، والبلاد من أقصاها إلى أقصاها مرجلاً يغلي بالحقد على من سلم إلى العدو مائة ألف مقاتل بعدائهم وأسلحتهم . فمضى لاشو يترافع ثلاثة أيام ، وهو كمن يضرب في حديد بارد حتى أسعفه الحظ وقد أخذ اليأس منه كل مأخذ بسقطة لسان من النائب العام إذ وصفه في رده على مرافعته « بالمدافع عن المزورين وقطاع الطريق » . وهنا وثب لاشو وثبة الأسد قد وخز بسكين . وعاودته قوته الهائلة بفعل الكرامة المجروحة ، وانطلق بيانه الساحر من عقاله فأتى بما لم يسبقه إليه متكلم . واستطاع بعد دفاع مرتجل ملتهب أن ينقذ رأس موكله

(يتبع)

زكي عريبي
المحامي أمام محكمة النقض والابرام

# في النقـــد

بقلم داود حمدان

في الأسابيع الأخيرة كتب في (الرسالة) أساتذة كبار بحوثاً جليلة في النقد، توخوا منها شحذ همم النقاد، وحملهم على النقد المفيد الذي طالما كان عاملا هاما في نمو الأدب وتمحيص العلم. وكان في كلام بعضهم كلام يوهم التعريض بأشخاص انبروا للدفاع عن أنفسهم، فكان لنا معشر القراء من ذلك فائدة ولذة

وما كنت، وأنا من القراء، لأزج بنفسي بين الكتاب، لولا أن شيئاً مما كتبه الأستاذ اسماعيل مظهر في العدد ١٦١ من (الرسالة) لم أفهمه، فجئت أستأذن (الرسالة) بنشر ما يقوم بنفسي حول هذا الموضوع، لعل الأستاذ يتفضل بتصحيح فهمي، فأكون له من الشاكرين،

يتساءل الأستاذ: (هل وضعنا للنقد قواعد يقوم عليها هيكله وتشيد من فوقها أركانه؟ ألنا في النقد مذاهب مقررة ينتحيها الناقدون؟ وهل لنا في النقد قواعد تحدد للنقد حدوده، وترسم تخومه، وتعين اصطلاحاته، شأن كل الأشياء العلميــة والأدبية التي لها أثر في تطور العقليات والمعقولات؟)

ثم ينفي الأستاذ أن لنا في النقد مذاهب (وإنما اتبعنا الى الآن في النقد طريقة ميزانها الذوق والشعور)

وفهمي الكليل لا يرى محلاً لهــذا التساؤل، ولا يتصور كيف يكون للنقد قواعد ومذاهب، لأن النقد — كما أفهم أنا — شيء إضافي ليس له حقيقة مستقلة، ولذا يقال: نقد الدراهم، ونقد العلم، ونقد الأدب، وغير ذلك. وهو في كل ذلك معناه التمييز والتمحيص ومعرفة الزائف من الصحيح

ولما كان لكل علم وفن حـدود وقواعد فهي هي حدود وقواعد للنقد، وليس للنقد بعدها حدود ولا قواعد

وإنما للنقد شروط لا بد من توفرها في الناقد قبل الاقدام على النقد: فأولها أن يكون الناقد عالماً بالشيء المنقود علم إحاطة لئلا ينقد شيئاً لا يكون داخلاً في حدود علمه. ولعل هذا ما حمل الأستاذ أحمد أمين على أن يعيب على النقاد أن ينتقدوا ما ليس من اختصاصهم، وذلك لأن عدم الاختصاص لا يتيح للناقد الاحاطة بالشيء المنقود. فناقد الدراهم مثلاً يجب أن يكون عالماً بماهية الدراهم ليستطيع نقدها، وناقد علم من العلوم يجب أن يكون عالماً بقضايا ذلك العلم واصطلاحاته، وناقد الأدب يجب أن يكون عالماً بأصول الأدب ومقاييسه ليستطيع تميز الصحيح من الفاسد، فمعرفة الصحيح من الفاسد في شيء ما، هي عبارة عن معرفة ذلك الشيء نفسه، ومن هذا يتبين أنه ليس للنقد حقيقة قائمة بذاتها ليوضع لها حدود وقواعد

وثاني الشروط أن يكون الناقد حسن النية في النقد غير ميال مع الهوى بحيث ينظر إلى العمل من حيث هو عمل لا إلى العامل، فان ذلك أدعى إلى العدل وأحفظ للسان من الوقوع في الافراط في المدح أو الذم. وليس معنى هــذا أنه لا يجوز مدح المحسن في عمل ما عمـا يستحق، فان هذا كفران للجميل وقتل للمواهب التي ينميها التشجيع ويحييها الاطراء، وأما المسيء فيكفي بيان إساءته ووقف الناس على خطئه ما دام المقصود من النقد نفي الباطل وإقرار الحق

وشرط آخر لناقد الأدب ونحوه من الفنون التي يكون للذوق فيها نصيب. وهو: أن يكون ذوق الناقد وذوق المنقود من بيئــة واحدة أو متقاربة، وأن يكون المؤثر فيهما واحداً أو متقارباً ليكونا متقاربين لا متساويين فان هذا مستحيل، فلا ينقد مشرقي مغربيا مثلاً في شيء تختلف فيــه أذواق المشارقة عن أذواق المغاربة

وشرط التقارب هــذا يعتبر ضابطاً لا بأس به في الأدب ويكون الحكم بعــد بين الناقد والمنقود الرأي الأدبي العام في تلك البيئة

وإنما لزم هذا الشرط في الأدب لأن الأدب من ضمن عناصره الذوق والشعور فلا جرم يكون الذوق والشعور من عناصر النقد الأدبي، بيد أنهما لا يكونان كل ما في النقد الأدبي من شيء. وما دام الذوق والشعور غير محددين فمن المستحيل وضع قواعد وضوابط لهما، ولذا يكفي لقبول النقد القائم على الذوق تقارب ذوق الناقد والمنقود

وبعــد، فقد ظهر — بحسب ما أفهم — أن قواعد النقد

# هيكل عظمى !...

## للأستاذ على الطنطاوى

[ كنت أمس عند قريب لى يمارس صناعة الطب ؛ تخرج لبعض حاجته ، حتى أطال الغياب ، وتسرب إلى الملل ، فقمت إلى خزانة كانت حيالى ، فقلت : لعل فيها كتاباً أقرؤه فما راعنى حين فتحتها إلا هيكل عظمى معلق بسقف الخزانة ... وإلى جانبه هيكل ثان ... ]

... من أنت أيها الانسـان الذى انتهى به الأمر إلى أن يحبس فى خزانة ، ويلبث الدهر معلقا بسلـكة ، ويعد متاعا من المتـاع ؟ أأنت رجل أم امرأة ؟ أغنىّ أم فقير ؟ أملك أنت أم صعلوك ؟ .....

هل كان فى هاتين الحفرتين البشعتين عيون سـاحرات الطرف ، يفـتن ذا اللب حتى لا حراك به ، ويفعلن بالألباب ما تفعل الخمر ؟ وهل كان على هذا الثغر المخيف شفاه لعس ، تأخذ دنيا البخيل بضمة على شفتيه ، ويبذل حياته الجبان فى قبلة منها ؟ وهل كان على هذا القفص العظمى صدر بلورى ، يضيع بين ثدييه عقل العالم ، ويذهب فيه لبّ الحليم ، وينسى امرؤ أسند اليه رأسه الدنيا وما فيها ؟ هل كانت هذه العظام المستطيلة المرعبة سواعد بضة ، وأفخاذا رجراجة طالمـا أثارت من هوى وأذكت من خيال وطالمـا أنطقت بالشعر الشعراء ؟

أ كنت أيها الانسان امرأة فاتنة جميلة ؟

وهذا الانسان الآخر ؟ هل كان عشيقكِ أيتها الفتاة ؟ اعترفى فلا بأس عليك اليوم ؟ هل كان يهيم بك حبا ، ويحيا الليالى يحوم حول منزلك ، أو يرقب شرفتك فاذا رأى شارة منك أو أبصر على الشرفة ظلّـك أو لمح طرف ثوبك الأبيض أو الأصفر أو ... أو « الأرجوانى » انصرف وهو أسعد الناس حالاً ، وراح يحبر فيك « المقالات » ، وطفق يرى صورتك التى نسجها من خيوط حبّـه ، لا صورتك التى هى لك : طفق يراها فى السماء التى يرنو إليها ويمدّ نجومها . وفى صفحة الـكتاب الذى يفتحه وينظر فيه . وبين أغصان الأشجار التى تمتد إلى شرفته . وحيثما تلفت أو نظر « تلوح له ليلى بكل سبيل » ؟

أم كان هذا الانسان شابا غضّ الشباب طرى العود ، ينظر بعيون الغيد ، ويتثنى كأنه قضيب بان ، ويتكلم بصوت لـيّن المـكاسر ، كأن ألفاظه ورناته غادة أخرى تميل وتتدلل ، ولم يكن يحبّـك أو يفكر فيك ، أو يفتش هو الآخر على من يحبـه ويفكر فيه ...

***

أم كنت أيها الانسان ملـكا يضىء على مفرقه التاج المحلى بالدر ، ويلمع تحته السرير المصنوع من الذهب ، إذا أمر تقاتلوا على السبق إلى طاعته ، وإذا اشتهى شـيئاً أسرعوا إلى تحقيق شهوته ، وإذا مرض لم يكن للناس حديث إلا حديث مرضه ، وإذا أبلّ لم يكن سرور إلا ببشرى إبلاله ، وإذا قام أو قعد أو قدم أو ذهب لهجت الألسن بقيامه وقعوده ، واشـتغلت الصحف بذهابه وقدومه ، وإذا مشى فى الطريق لم يمش على رجليه كما كان يمشى أبونا آدم عليه السلام ، وكما تمشى ذريته ، ولـكنه يمشى على رءوس الناس الذين يحسون لفرط الاجلال أو لفرط السخط بأنه يمشى على رءوسهم جميعاً ؟

أم كنت أيهـا الانسان صعلوكا حقيراً عاش على هامش الحياة ، ودفن فى حاشية المقبرة ، فلم يحس أحد بحياته ، ولم يدر أحد بمماته ، ولعل حياته أشرف حياة لأنها حافلة بالفضائل ، مترعة بالشرف ، فـكان يكدح طول نهاره . ليحصل خبزه وخبز عياله ، فيأ كله مأدوماً بعرق جبينه ، لا يؤذى أحداً ، ولا يسرق مال الدولة ، ولا يتخذ وظيفته جسراً إلى تحقيق شهواته ، وتحصيل لذاته ، ولعل موته أشرف موت ، لأنه مات مجاهداً وسط المعمل ، وسقط وفى عينيه المعول

---

هى قواعد العلم والفن والأدب المنقود ، وأنه لا يمكن وضع قواعد خاصة للنقد من حيث هو فن خاص ، وإنما له شروط — والشروط غير القواعد — وهى لا تـكاد تخفى معرفتها على أحد من كثرة مانوه بها الـكاتبون فى هذا الموضوع

أقول قولى هذا وأنا خجل من نفسى ومن الناس أن أناقش أستاذاً كبيراً فى رأيه حول موضوع ليس لى من الخبرة به عشر معشار ماله ، ولـكننى أضع رأيى بين يديه ليدلنى على مكان الخطأ منه ، وليتفضل ببيان أوسع عن رأيه اذا بقى مصراً عليه ولحضرته منى الشكر الجزيل

( اللد — فلسطين ) داود حمدان

انظر ياصديقى ! التفت إلى يمينك . إن الملك الذى طالما خفته وأكبرته وأعظمت زينته وبزته وشارته وحليته ، قمات عن طريقه ولم تجرؤ أن يرفع نظرك الى طلعته الكريمة .. إنه معك فى هذه الحزانة قد نزع عنه ثوب الملك والبهاء . وعاد مثلك : لا الملك دام له ولا دام الغنى !

***

هل كنت أيها الانسان رجلاً عفيفاً مستقيما ، أم كنت لصاً خبيثاً ؟ اعترف : إنه لن يضرك اليوم اعتراف ، هل كنت لص أعراض تلبس ثوب التاجر ، أو ترتدى حلة الموظف أوتتيه ببردة الغنى . كم من الأعراض سطوت عليه باسم الوظيفة أو بصلة الصداقة ، أو ولجت اليه من باب «السفور المتهتك» ؟

أم كنت لصاً رسمياً لا سبيل للقانون عليه ، لأنه يسرق من الناس ويسكتون . لأنهم يريدون أن تمشى أعمالهم . ويسرق من الخزينة بأسناد مصدقة !

أم كنت لص أدب ، تسرق فكرة الفيلسوف وصورة الشاعر وموضوع الكاتب ، فتلبسها ثوباً من أثوابك الخسيسة الممزقة ، ثم تخرج بها على النـــاس على أنها بنت خيالك ووليدة عقلك !

أم كنت مظلوما ولم تكن لصا ولم تحترف السرقة ، ولكن رأيت صبية مشرفين على الموت من الجوع ، وأسرة كادت تودى من أجل رغيف ، ورأيت حقك فى بيت مال الأمة ، قد سرقه السادة الأكابر فغطيت وجهك حياء ، وأخذت رغيفا ليس لك ، فثار بك المجتمع وقامت عليك الصحف ، وتعلق بك القانون حتى استاقك الى السجن ، فمت فيه مفجوعا بشرفك وأولادك !

اقترب أيها المجرم . أدن أيها الشهيد ، تعال انتقم ، هذا هو القاضى الذى حكم عليك ، لأنك سرقت رغيفا تعيش به أسرة ، ثم خرج يخترق الصفوف ، صفوف الشعب الذى اجتمع ليشهد انتصار الحق وظفر العدالة ، فلما رآه حياه وهتف له حتى بح صوته ، وصفق حتى احمرت كفاه ، فلما ابتعدوا لم يعد يراه أحد مد يده التى حمل بها (مطرقة العدل) فأخذ ثمن وجدانه الذى باعه ، أخذ الرشوة ... تعال انتقم . إن القاضى والمجرم قد التقيا وزالت من بينهما الفروق !

***

أم أنت أيها الانسان جندى صاحوابه : الوطن فى خطر ! الحضارة مهددة بالزوال ! لقد أوشك أن يموت الحق وتذهب الفضيلة ! فاشتعلت الحمية فى رأسك ، والتهب الدم فى عروقك ، وقدحت عيناك بالشرر ، فتركت أمك المسكينة ليس لها بعدك إلا الله ، وأسلمتها إلى الحزن الطويل ، والثكل القاتل ، وأولادك الذين تعلقوا بك يصيحون : بابا .. بابا .. أسلمتهم إلى اليتم والفقر والبؤس ، وذهبت تلبى نداء الحق والفضيلة ، وتخلص الحضارة ، وتنقذ الوطن .. فنمت على الجثث ، وتجلببت باللهب ، وتوسدت القنابل ، حتى إذا أدركك أجلك سقطت صريعاً ، وأقبل رفاقك يدوسون على جثتك ، لا يجدون وقتاً لازاحتها ودفنها ، لأنهم يخافون إذا أبطأوا ألا يدركهم الموت فى سبيل الانسانية . . . فلما ماتوا جميعاً ربحت الانسانية وساماً زين صدر القائد ، وصفحة فى تاريخ العدوان ، وثبت كرسى طاغيـة من الطغاة . أو استقرت مكانة حزب من الأحزاب ، أما الأطفال الأيتام والعجائز الثاكلات ، فحسبهم عوضاً من آبائهم ، وحسبهن بدلاً من أبنائهن التمتع برؤية موكب القائد الظافر

أم أنت أيها الانسان القائد نفسه ، قد جرد صدره من الأوسمة والشارات ، وجسمه من الحلة المزدانة بالقصب ، ووجهه من الأنف والعينين ، وعاد قفصاً من العظام ، لا يمتاز من أصغر جندى وأحقر صعلوك ، فلم يعد لك تانك العينان اللتان تبرقان ، فترتجف لبريقهما أقسى القلوب ، وذانك الشاربان القائمان كساريتى مركب ، وذلك الصوت القوى ، الذى كان يصيح بالجنود : إلى الأمام ! أى إلى الموت . . . إلى الثكل . . . إلى اليتم . . . إلى الحرب . « جحيم الحياة الدنيا » !

وأنت أيها الآخر . أأنت ذلك الجندى ، مالك تقف جامداً ؟ هذا قائدك ، ألا تضم شفتيك ، وتثبت بصرك ، وتزوى ما بين عينيك ، وتأخذ هيئة الجد لتؤدى التحية العسكرية ، ويحك ! أما أنت جندى ؟ امرأة أنت ، أأنت عشيقة القائد العظيم ، رآك منصرفة من المعركة التى طوح فيها بالمئات من شباب أمته فى سبيل العدوان على بقعة ليست له أو إعطائها إلى غير أصحابها ،

ومنحها للبعض الطارئين من الشعوب الذليلة المسكينة ، فماتوا كلهم ولم يقدروا على شيء ، لأن للحق قوة كقوة النار والحديد ، أأنت التي اخترقت سهام لحظها هذا القلب الذي طالما هزئ بالقنابل والمدمرات ، فجاء يصب جبروته على قدميك ، وأصبح هذا الذي يصرف عشرات الألوف من الكماة المستلئمين تصرفينه أنت وتجرّينه من زمامه ، حتى صار يفكر فيك وهو في ساحة الحرب ، يزلزل الأرض تحت أقدام أهلها ، ويتأمل صورتك والعدوّ على أبواب معسكره لا يخاف عليه أن تحيله الأعداء ، ما يخاف عليك أن تمص لماك غير شفتيه ، أو يضم جسمك غير ذراعيه ...

اقترب يا سعادة القائد ، اقترب منها ، فضمها واشرب لماها . إنها هي التي تحب !

***

أم أنتما رجلان ؟ أعدوّان أنتما أم صديقان ؟ أكان بينكما مسافة على الأرض ومسافة في الزمان ، أم أنتما رفيقان متلازمان ؟ هل التقيتما في معمل ، أو عملتما في منجم ، أو اشتغلتما في ديوان ، أو اصطحبتما إلى الحرب ، أو تجاورتما في السوق ؟

أم كنتما مضطجعين في قصريكما المتقابلين ، قد مللتما من التسلية ، وشبعتما من الحب ، فأنتما تدفعان العمر دفعاً ، لا تتنازلان أن تنظرا من النافذة إلى هؤلاء البؤساء الذين يشتغلون دائماً وأبداً ، كأنهم آلات تدور ، تحت الشمس في الصيف ، وتحت المطر في الشتاء ، وفي الحرّ وفي الزمهرير ، وفي الصحة وفي المرض ، ليأخذوا بعد ذلك الواحد وتأخذوا أنتم التسعة والتسعين ، مكافأة لكم على غصبكم حريتهم وعسفكم إياهم ، وزرايتكم عليهم ، فتنفقوها على الموائد الخضر ، وفي كؤوس الخمر ، وعلى الشقر والسمر ... ثم إذا خرجتم تمسحوا بأذيالكم ، وقبلوا السياط التي تلهبون بها ظهورهم !

***

من أنتما أيها الانسانان ! وما شأنكما ؟ أأنتما هنا لتقولا : إن الملك والغنى ، والمجد والجاه ، والفتنة والجمال ، كل أولئك أثواب تلبس وتخلع ؟

فأيّ معنى — إذن — لقصائد ساداتنا الشعراء العاطفين ؟

(دمشق) علي الطنطاوي

# الحجاب في الاسلام

## للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

من علماء الأزهر

— ٢ —

أما غير أمهات المؤمنين من نساء المسلمين فلم يفرض عليهن هذا الحجاب الذي فرض عليهن ، لأن فرضه عليهن كان للغرض السابق الخاص بهن ، وقد ترك الاسلام أمر هذا الحجاب للرجل وزوجه ، يجريان فيه على ما تقتضيه المصلحة التي تختلف باختلاف النساء ، وشأنه في هذا شأن غيره من الأمور التي تركها الاسلام لحكم العرف والعادة وغيرها

ولهذا كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جرى مع نسائه على ترك تقييدهن بشيء من أمر هذا الحجاب كالزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وعبد الله بن جعفر وغيرهم . وكان منهم من جرى على تقييد نسائه به مثل ما قيدت به أمهات المؤمنين ، وقد ورد من هذا أن سلمة بن قيس أرسل رجلاً إلى عمر يخبره بواقعة من الوقائع ، فلما قدم له عمر الطعام نادى امرأته أم كلثوم بنت علي : ألا تأكلين معنا ؟ فقالت له : لو أردت أن أخرج إلى الرجال لكسوتني كما كسا ابن جعفر والزبير وطلحة نساءهم

ولعل الزبير كان يفعل هذا مع زوجه أسماء بنت أبي بكر ، فقد تزوج بعدها عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت امرأة عجزاء بادنة ، ولها جمال وكمال وتمام في عقلها ومنظرها وجزالة رأيها ، وهي التي يقول فيها عبد الله بن أبي بكر :

أعاتكُ لا أنساكِ ماذرّ شارقٌ وما ناح قُمْرِيُّ الحمام المطوّقُ
أعاتكُ قلبي كلّ يوم وليلةٍ لديك بما تخفي النفوسُ معلّقُ
لها خُلُقٌ جزلٌ ورأيٌ ومنطقٌ وخَلْقٌ مَصُونٌ في حياء ومصدق
فلم أرَ مثلي طلّق اليومَ مثلها ولا مثلها في غير شيء تطلّقُ

وكانت عاتكة تحت عبد الله فشغل بها ، وغلبته على رأيه ، فمر عليه أبو بكر أبوه وهو في علية يناغيها في يوم جمعة ، وأبو بكر متوجه إلى الجمعة ، ثم رجع وهو يناغيها ، فقال يا عبد الله أجمعت ؟ قال أوصلى الناس ؟ قال نعم ، فقال له أبو بكر : قد شغلتك عاتكة عن المعاش والتجارة ، وقد ألهتك عن فرائض

الصلاة — طلقها — فطلقها تطليقة ثم ندم على طلاقها وقال هذه الأبيات فيها ، فأذن له أبوه فى مراجعتها ؛ وقد مكثت تحته حتى مات فتزوجت بعده عمر ، ثم تزوجت بعد عمر الزبير . فلما ملكها الزبير قال لها : يا عاتكة لا تخرجى إلى المسجد ، فقالت له : يا ابن العوام — أتريد أن أدع لغيرتك مصلى صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر فيه ؟ قال فانى لا أمنعك ، فلما سمع النداء لصلاة الصبح توضأ وخرج ، فقام لها فى سقيفة بنى ساعدة . فلما مرت به ضرب بيده على عجيزتها ، فقالت مالك قطع الله يدك ورجعت . فلما رجع من المسجد قال يا عاتكة مالى لم أرك فى مصلاك ؟ قالت يرحمك الله أبا عبد الله ، فسد الناس بعدك . الصلاة اليوم فى القيطون أفضل منها فى البيت ، وفى البيت أفضل منها فى الحجرة

وهكذا كان بعض الرجال يحاولون أن يفرضوا على نسائهم هذا الحجاب بحكم الغيرة لا بحكم الدين ؛ وكانت عائشة رضى الله عنها هى التى حالت بين النساء والمساجد ، وكن يصلين فيها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت تقوم صفوفهن خلف صفوف الرجال . فلما فتحت الأمصار وأقبلت الدنيا على المسلمين ظهرت المرأة فى زينتها ، وأخذت تحضر إلى المسجد بحالة تدعو إلى الفتنة ، فرأت عائشة فى حضورهن المساجد هذا الرأى ، وقالت فى ذلك : لو رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء بعده لمنعهن المسجد كما منعت نساء بنى إسرائيل

ولقد كان فى نفسى شىء من هذا المنع إلى أن شفاها منه عالم الأندلس ، وإمام أهل الظاهر ، أبو محمد على بن حزم . قال رحمه الله وأرضاه : أما ما حدثت عائشة فلا حجة فيه لوجوه :

أولها أنه عليه السلام لم يدرك ما أحدثن فلم يمنعهن ، فاذا لم يمنعهن فمنعهن بدعة وخطأ ، وما نعلم احتجاجا أسخف من احتجاج من يحتج بقول قائل لو كان كذا لكان كذا

ووجه ثان وهو أن الله تعالى قد علم ما يحدث النساء ، ومن أنكر هذا فقد كفر ، فلم يوح قط إلى نبيه صلى الله عليه وسلم بمنعهن من أجل ما استحدثنه ، ولا أوحى تعالى قط إليه — أخبر الناس إذا أحدث النساء فامنعوهن من المساجد

ووجه ثالث وهو أننا ما ندرى ما أحدث النساء مما لم يحدثن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولاشىء أعظم فى إحداثهن من الزنا ، فقد كان ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجم فيه وجلد ، فما منع النساء من أجل ذلك قط

ووجه رابع ، وهو أن الأحداث إنما هو لبعض النساء بلا شك دون بعض ، ومن المحال منع الخير عمن لم يحدث من أجل من أحدث ، وقد قال تعالى : ( ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى )

ومن يدقق النظر فى ذلك يجد أن هذه المحاولات فى الحجر على النساء كانت ترجع إلى أسباب اجتماعية لا دينية ، وأن الرجال كانوا يلجأون إلى هذا الحجر إذا أسرف النساء فى استعمال ما أطلق الشارع لهن فى هذا الأمر ، وقد بدأ الرجال كما ذكرنا يلجأون إلى ذلك بعد قليل من عهد النبوة ، حتى كان ذلك يخرج بهم إلى حد الاثم . قال صاحب الأغانى : قال إسحاق قال المدائنى وأخبرنى أبو مسكين عن فليح بن سليمان قال : كان الدلال ملازماً لأم سعيد الأسلمية ، وبنت ليحيى بن الحكم بن أبى العاصى ، وكانتا من أمجن النساء ، كانتا تخرجان فتركبان الفرسين فتستبقان عليهما حتى تبدو خلاخيلهما ، فقال معاوية لمروان : اكفنى بنت أخيك ، فقال : أفعل ، فاستزارها وأمر ببئر فحفرت فى طريقها وغطيت بحصير ، فلما مشت عليه سقطت فى البئر فكانت قبرها

وقد كانت النساء الحرائر من العربيات وغيرهن يقاومن ما يحاوله الرجال من الحجر عليهن ، ولا يفرطن فيما أباحه الشارع لهن ، كما سبق من عاتكة بنت زيد مع زوجها الزبير ؛ وقد حاول عمر قبله ذلك معها أيضاً . روى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى أن عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل كانت تحت عمر بن الخطاب وكانت تشهد الصلاة فى المسجد ، وكان عمر يقول لها : والله إنك لتعلمين أنى ما أحب هذا ، فقالت : والله لا أنتهى حتى تنهانى ، قال عمر : فأنى لا أنهاك ، فلقد طعن عمر يوم طعن وإنها لفى المسجد

فلما أخذ الرجال يفضلون الاماء على الحرائر ضعفن عن هذه المقاومة ، وآل الأمر بالرجال إلى أن جعلوا بيوتهم سجناً للنساء ، وحرموا عليهن الخروج إلى المساجد وغيرها ، ومنعوهن من الاختلاط بالرجال ولو فى حضورهم . ثم طال الأمر على ذلك بين المسلمين حتى ظن أنه من دينهم وما هو منه فى شىء ، وإنما كان مثل هذا مفروضاً على نساء النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكنه لم يبلغ فى الشدة إلى مثل هذا الحد ، ثم انتهى ذلك بموت ميمونة رضى الله عنها ، وكانت فيما قيل آخرهن موتاً م

( للكلام بقية ) عبد المتعال الصعيدى

للتاريخ السياسي

# المعنى السـياسى لانتخابات مجلس النواب الفرنسى عام ١٩٣٦

للدكتور يوسف هيكل

[تتمة ما نشر فى العدد الماضى]

وأدت انتخابات الدورة الثانيـة التى جرت يوم الأحد الموافق ٣ مايو إلى فوز « الجبهة الشعبية » فوزا باهرا لم تكن تنتظره بهذه الصورة ، ولم يعتقـد خصومها أنهم سيخذلون هذا الخذلان

وكان الحزب الإشتراكى الفائز الكبير فى هذه الانتخابات ؛ أما الحزب الراديكالى فتبادل مركزه مع الحزب الاشتراكى فبلغ عدده ١١٦ نائباً بعد أن كان ١٥٩ نائباً فى المجلس السابق

وهذه قائمة تبين عدد الأحزاب فى مجلس النواب الفرنسى الجديد ، ومقدار ما ربحه أو خسره كل منها من المقاعد :

| أسماء الأحزاب | عدد النواب يوم ٣ مايو ١٩٣٦ | مقدار الربح | مقدار الخسارة |
|---|---|---|---|
| الشيوعيون والشيوعيون الخارجون | ٨٢ | ٦٢ | — |
| الاشتراكيون | ١٤٦ | ٤٥ | — |
| الاتحاد الاشتراكى | ٢٦ | — | ٩ |
| الاشتراكيون المستقلون | ١١ | — | ٢٦ |
| الراديكاليون الاشتراكيون | ١١٦ | — | ٤٣ |
| الراديكاليون المستقلون | ٣١ | — | ٣٦ |
| جمهوريو اليسار | ٨٤ | ١٢ | — |
| الشعبيون الديمقراطيون | ٢٣ | ٧ | — |
| الاتحاد الجمهورى الديموقراطى | ٨٨ | ١٢ | — |
| المحافظون | ١١ | — | ٢٤ |
| المجموع | ٦١٨ | | |

فما هى الأسباب التى أدت إلى تقهقر الحزب الراديكالى ؟ وما هى العوامل التى ساعدت على فوز الاشتراكيين حتى إنهم أصبحوا أكبر حزب فى مجلس النواب الفرنسى لأول مرة فى التاريخ ؟

قبل كل شىء يجب القول بأن الحزب الراديكالى الاشتراكى لن يبيد فى فرنسا ، لأن هذا الحزب يمثل « البورجوازى » ، أى الطبقة المتوسطة ، وهى أعظم طبقة اجتماعية فى فرنسا ، وبرغم هذا فان النجم السياسى للحزب الراديكالى أخذ يأفل لعوامل بعضها ناجم عنه والبعض الآخر طرأ عليه من الخارج

على رغم الظروف الحرجة التى واجهها الحزب الأكبر فى مجلس نواب عام ١٩٣٢ ، فانه لم يظهر وحدة فى صفوفه ، ولا فى سياسته ، ولا مقدرة على الحكم

لم يكن النظام سائداً داخل هذا الحزب ، وكثيراً ما انقسم أعضاؤه إلى فرق أثناء التصويت فى مجلس النواب ، مما أدى إلى خذلان الحكومة القائمة حينئذ وكانت راديكالية ! وكثيرا ما خالف قسم كبير من الأعضاء قرار هيئتهم التنفيذية . وكثيرا ما عمل بعض الراديكاليين خلاف ما قال به رئيسهم . فهو إذن لم يكن كتلة واحدة ، بل كان منقسما بعضه على بعض حتى فى أحرج الأوقات ... وإن أزمات الوزارات الراديكالية التى تعاقبت عام ١٩٣٣ ، وفضيحة ستافسكى التى أظهرت بأن كثيراً من الراديكاليين قد أفسدتهم أموال « المحتال » ، وأن اضطرابات ٦ فبراير ، وسيلان الدماء فى شوارع باريس زمن حكم وزارة راديكالية ... كل هذا أزال الاحترام الذى كان للحزب الراديكالى الاشتراكى فى أعين الشعب

وتلا ذلك انسحاب مسيو هريو رئيس الحزب الراديكالى حينئذ والوزراء الراديكاليين من حكومة « الرئيس دومرج » ذات الشهرة الشعبية ، حينما كادت مجهودات « الشيخ الجليل » تثمر وتعود على فرنسا بالخير ، مما أدى إلى سقوط هذه الوزارة الشعبية وعودة مسيو دومرج إلى « تورنفى » . فأبغض موقف الراديكاليين كثيرا من أنصارهم ؛ كما أن موافقة الراديكاليين على سياسة مسيو لافال الخارجيـة المنافية لمبادئ أحزاب الشمال كانت سببا كبيرا فى اضاعة شهرة هذا الحزب

وكانت العوامل الايجابيـة التى أدت إلى تفوق الحزب الاشتراكى سببا سلبيا فى خذلان الحزب الراديكالى

تمكن القول بأن الحزب الاشتراكى الفرنسى هو الحزب السياسى الوحيد الذى يستحق هذا اللقب ، إذ هو يحتوى على

جميع التشكيلات الأساسية لحزب سياسى ... موحد الصفوف والنظام سائد فيه ، ولا يمكن لعضو ما أن يقوم بعمل يخالف ما اتفق عليه الحزب دون أن ينال جزاءه . ولا تستطيع الهيئة التنفيذية ، وعلى رأسها الرئيس ، اتباع سياسة لم يقرها المؤتمر العام ... والاشتراكيون كتلة واحدة فى مجلس النواب ، يصوتون جميعاً مع الحكومة أو عليها . ولهم تشكيلات اجتماعية مفيدة وتقوم بتهذيب الشباب والنساء تهذيباً مدنيا وسياسيا ... فالحزم والنظام موجودان فيه وهما ما يحتاجه الشعب الفرنسى ، ولا عجب أن تكون هذه الصفات السياسية التى يتصف بها الحزب الاشتراكى قد ساعدت كثيرا على تقدير الشعب له

وللحزب الاشتراكى رئيس قدير : مسيو بلوم ، يعرف كيف يتطور ويضع مبادئ حزبه الاشتراكية فى شكل يقبله قسم كبير من الشعب

إن أكثرية الشعب الفرنسى الساحقة مؤلفة من الفلاحين الصغار الذين يعملون بأيديهم مع أفراد عائلاتهم فى الحقول ويعتاشون من عملهم ؛ ومن صغار التجار الذين لا يكونون ثروة ذات اعتبار . وقد تيقن مسيو بلوم بأن لا قائمة تقوم لحزبه إن لم يربح عطف هذا القسم من الشعب . ولما كان الفلاح فى فرنسا متعلقا بأرضه تعلقا يفوق حد التصور ويموت فى سبيلها ، رأى مسيو بلوم من الواجب عليه تأمين الفلاح على أرضه إن رام نيل صوته ؛ فخفف حدة النظرية الاشتراكية ، وأعلم الفلاح والتاجر الصغير بأن حزبه لا يريد وضع يده على جميع الأملاك والثروات ، بل على رؤوس الأموال الكبيرة ؛ وأنه يعتبر المالك والتاجر الصغيرين ضمن طبقة العمال ، والاشتراكية تحترم أملاكهم ... وهكذا تقرب مسيو بلوم وحزبه من هذه الطبقة التى كانت تعاضد الحزب الراديكالى وانتزع قسما كبيرا منها

ثم خفف الحزب الاشتراكى حدة ثورته على السياسة القومية ، وأخذ يقول بوجوب الدفاع عن الوطن ، ولم يردد نغمة الاشتراكية الدولية فى خطاباته ... فجميع هذه العوامل الايجابية أدت إلى فوز هذا الحزب ، كما أنها كانت أسبابا سلبية لاضعاف الحزب الراديكالى

***

وكان لتفوق « الجبهة الشعبية » بصورة عامة على أحزاب الوسط واليمين أسباب عدة

كانت الأزمة المالية ، ولا سيما أزمة ميزانية الحكومة ، شديدة على فرنسا طيلة السنين الأربع الأخيرة ، وقد حاولت الحكومات السابقة حلها فى تطبيق نظرية «الاقتصاد فى كل شيء» فلم توفق . وعملها هذا أرغم الفرنسى على اختلاف مقدرته المالية على الاقتصاد والتقتير على نفسه وعائلته ، فقلل ذلك تداول العملة من جهة ، وزاد فى الأزمة الاقتصادية وفى البطالة من جهة ثانية . وقد سئم الشعب الفرنسى هذه السياسة المالية ولم يرد مجابهة أزمات ١٩٢٦ و ١٩٣٤ من جديد ، وود اتباع تجربة اقتصادية جديدة آملاً أن تكون نتيجتها حل الأزمة وإعادة الرخاء . فعمل على التخلص من النظام البرلمانى القديم الذى أفسدته الأكثريات السابقة ، فأرسل الى مجلس النواب أكثرية يسرى مؤلفة من عناصر جديدة شابة ، إذ أن ما يقرب من نصف أعضاء المجلس الجديد لم يشتركوا فيه من قبل . وهذه النفسية عملت كثيراً على خذلان الراديكاليين وإضعاف أحزاب الوسط ، وضياع شهرة عدد كبير من رجال أحزاب اليمين

وقد ساعد مسيو لافال كثيراً فى فوز هذه الجبهة ! فالسياسة التى اتبعها فى جنيف ، والتى أدت الى إضعاف مركز العصبة ، ان لم يكن زوالها ، والى إبعاد باريس عن لندن ، والتى مهدت لهر هتلر الطريق لاحتلال أراضى الرين ، لم ترض الفرنسيين الذين يعتقدون بأن لا سلامة لفرنسا إلا بتقوية مؤسسة جنيف ومبدأ « السلام المشترك » ، وهم أكثرية الشعب . ولما أتت الساعة لابداء رأيهم حكموا على سياسته باعطاء أخصامه وسيلة الحكم

وكان لمسيو « دى لاروك » مجهودات عظيمة أدت الى فوز الشيوعيين والاشتراكيين ! فالشعب الفرنسى محب للحرية ولا يبغى بالديمقراطية بديلا . فلما قام الكولونيل دى لاروك بحركته الفاشستية وأخذ فريقه « الصليب النارى » يتسع بين العائلات المثرية ، أحس الجمهور الفرنسى بالخطر الذى يهدد حريته وديمقراطيته ، فعمل على تلافيه قبل استفحاله ، فأرسل الى «قصر البربون» أكبر عدوين للفاشستية مظهراً بذلك مقته للدكتاتورية وسخطه على « المائتى عائلة » ... وهكذا تحققت كلمة مسيو بوانكاريه : « كلما خافت فرنسا الدكتاتورية رمت بنفسها فى أحضان اليسار »

ومما لا شك فيه أن تنظيم صفوف أحزاب اليسار ، ووضعهم منهاجاً مشتركا للانتخابات ، كان عاملاً قوياً فى تفوقهم ؛ كما أن

الفوضى فى أحزاب اليمين وتنازعهم أصوات المنتخبين وعدم إيجاد منهاج مشترك لهم أدى الى خذلانهم وساعد على فوز الجبهة الشعبية . على أن هذا لم يكن كل شيء ، بل كانت الأسباب السياسية التى تحدثنا عنها أكبر عوامل للوصول الى نتيجة الانتخابات الأخيرة

— ٣ —

لقد فاز الحزب الاشتراكى وأصبح أكبر حزب فى مجلس النواب ، وشكل حكومة ذات منهاج متين تؤيده أكثرية كبرى فى مجلس النواب . فهل ستظل هذه الأكثرية الكبيرة معاضدة للحكومة ، أم ستجابه مسيو بلوم الصعوبات التى جابهت زميله مسيو هريو من قبل ؟ .

مما لا شك فيه أن مسيو بلوم رجل عمل و « رجل دولة » ولكن هذا وحده لا يكفى لايجاد حكومة ثابتة ، إذ يجب ، قبل كل شيء ، أن تسند هذه الحكومة أكثرية دائمة . فالحزب الاشتراكى وحده لا يستطيع الحكم وان اتفق مع الحزب الراديكالى فلا يكونان أكثرية . ولذا فهو فى حاجة الى إشراك الحزبين الجالسين عن يمينه وعن يساره فى الحكم . غير أن الحزب الشيوعى رفض الاشتراك فى الحكومة ، ولكنه أيدها وليس للاشتراك والتأييد نفس المفعول ، لأنه عند مايشترك حزب فى حكومة يشترك فى المسؤولية أيضاً ، فخذلان الحكومة معناه خذلانه فى تلك الحالة . لذا وجب عليه المدافعة عن الحكومة ومعاضدتها . أما إن أيد الحكومة فحسب ، فانه لا يشترك فى المسؤولية ويستطيع سحب ثقته من الحكومة فى أى وقت شاء دون أن يناله أى ضرر ؛ فتصبح الحكومة حينئذ تحت رحمته . وقد لعب الاشتراكيون هذا الدور مع الحكومات الراديكالية ، ويريد الشيوعيون الآن تمثيله مع الحكومة الاشتراكية . ومسيو بلوم أعرف الناس بالضرر الذى سيلحق حكومته ان اتبع الشيوعيون هذه السياسة

وهذه الصعوبة حجر عثرة أمام الزعيم الاشتراكى ، فان تمكن من حفظ الائتلاف بين الأحزاب الثلاثة ، وان استطاع الاحتفاظ بثقة الحزب الشيوعى ، كانت لوزارته مكانة قوية وثابتة ، وأن لم يتمكن من ذلك فستجابه فرنسا سلسلة أزمات وزارية أشد خطراً من التى جابهتها خلال السنين الأخيرة ، وستكون عاقبة ذلك جد وخيمة ولربما أدت الى حرب أهلية ...

ولحسن حظ مسيو بلوم فان حزبه قد فاز وتسلم زمام الحكم ، والحالة الاقتصادية فى فرنسا آخذة فى الانتعاش والتحسن ، فهو بذلك أسعد حظا من زميله مسيو هريو الذى فاز وتسلم زمام الحكم والبلاد مجابهة أشد الأزمات الاقتصادية والمالية ، عام ١٩٢٤و١٩٣٢ . فالانتعاش الاقتصادى الحالى يساعد مسيو بلوم كثيراً ، ويسمح له بصرف جهوده فى مكافحة الصعوبات البرلمانية ، وفى تعديل اعوجاج السياسة الخارجية وتحسين علاقات فرنسا مع الدول وخصوصاً مع بريطانيا ... فان تمكن مسيو بلوم من الاحتفاظ بالأكثرية التى تعاضده فى مجلس النواب زالت الأزمات الوزارية التى كانت أكبر عامل فى إضعاف مركز فرنسا فى الدوائر الدولية ؛ ويعود للحكومة احترامها وثباتها ، وهما ضروريان لنجاح أية حكومة ؛ وبالتالى يعود لفرنسا مركزها الدولى السامى الذى كانت تتمتع به أمام المرحوم مسيو بريان . . .

فلوراك (فرنسا) يوسف هيكل
دكتور فى الحقوق

في الأدب الانكليزي

# هل من انتحـــال في الأدب الانكليزي ؟

للسيد جريس القسوس

— ٢ —

وحجة كامبل في ذلك اكتشافه مخطوطات قديمة ورد فيهـا ذكر (فنّ) و « أوشان » وغيرهما من الأسماء الواردة في منظومات مكفرسن ، مما يدلّ على أن هذه الأسماء كانت ، على الأقل ، شائعة معروفة في اسكوتلندا وايرلندا الشمالية قبل مجيء مكفرسن . فلا يبعد أن يكون مكفرسن قد اطلع على هــذه المخطوطات فأغرم بحوادثها التاريخية وافتتن ؛ فعلق بذهنه ما علق وتأثر بأسلوبها الشعري واقتبس منهـا بعض الشيء فظهر أثر ذلك في تلك المنظومات التي ادعى أنها مترجمة

وكامبل لا يجحد لمكفرسن فضله في جميع هــذه الآثار المتفرّقة وترتيبها وتدوينها حتى ظهرت بذلك الشكل الفنى الرائع ، إذ لولاه لعبث الزمان بهــذه الآثار الخالدة عبثه بغيرها من القصائد التي تروى على ألسنة العامة ، وخاصة أهل الأرياف ، وسكان الصحراء

ولا يقف كامبل عند هذا الحدّ في الردّ على جونسن ، بل يرى أنه من النادر أن تلق واحداً من سكان ايرلندا الشماليـة لم يسمع قط بالأسماء التي وردت في قصائد مكفرسن ؛ وأن هذه الأسماء هي في الحقيقة محور عدد غير يسير من القصص العامية التي يتلوها الأمهات على أطفالهن حول المواقد في ليالي الشتاء الباردة

ويصرف كامبل جونسن ، ويعود إلى مناقشة الآراء السخيفة التي يتمسك بها أنصار مكفرسن ، وخاصة بروفسور أوكرى Prof. O'Curry ؛ فهذا وغيره من أنصار مكفرسن يرون أن (أوشان) وغيره من الأبطال شخصيات تاريخية حقيقية ، وأنهم ايرلنديو النسب ؛ نشأوا في القرن الثالث قبـل المسيح ؛ وأن (فنّ) يرجع في نسبه إلى نحو ١١٠ ق . م . وأن اسم Fene ورد في قصيدة نظمت سنة ١٠٢٤ ، وضُمنت كتاب باليموت Ballymote بسنة ١٣٩١ . أقول إن كامبل يردّ على ذلك رداً عنيفاً مبيناً تناقض الروايات المختلفـة واضطرابها في تحديد نسب هؤلاء الأبطال وتبيان التاريخ الصحيح لنشأتهم . فبعض أنصار مكفرسن — ومعظمهم ايرلنديون — يرون مثلاً ، أن هذه الأشعار الغاليقية صينت في مخطوطات قديمة ، وأنها تنسب إلى أوشان وغيره من أبطال أساطير ايرلندا الأولية ، وأن جميع هؤلاء الأبطال ايرلنديون لا اسكوتلنديو الجنس ، بينما البعض الآخر يرى أن هؤلاء الأبطال نشأوا في عصر متأخر . بل منهم من يجعـل ( فنّ ) اسكتلندى الجنس ومنهم من يجعله انكليزياً

وآخرون يرون أن البطل أوسكار الوارد ذكره في الأدب الايرلندى القـديم اسكوتلندى الجنس والمولد ، بل غيرهم موقنٌ أنه دنمركيّ برغم ورود اسمه في الأدب الايرلندى

ويزيد موقف الناصرين وهناً واضطراباً ، نسبتهم الأعمال الجسيمة الباهرة التي قام بها أشخاص هــذه الآثار الأدبية إلى الـكائنات الغيبية كالجنّ والآلهة المتعدّدة

ولا يقتصر كامبل على هــذا بل يعود إلى مهاجمة الناصرين من ناحية أخرى ؛ فيقول إنه لم يطلع ، في حياته ، على مخطوطة أو سجل تاريخي فيه ذكر لمملكة (مورڤن) Morven أو ملكها فنغال . فمن أين جاء مكفرسن بهذه الأسماء التي تتخلل معظم أشعاره ؟ ذلك مما يحمله على الاعتقاد الأكيد بأن هذه المملكة إنمـا هي من اختلاق جامع هــذه القصص الأوشانية ومرتبها ، مكفرسن كان أم غيره

أما أوشان بن فنغال الشاعر الذي عزا اليه مكفرسن نظم الآثار الأدبية المعروفة باسمه ، فأمره ، كأمر والده غامض مبهم اذ لا يمكن أن يعمر أوشان — مسلمين جدلاً أنه حقاً ابن (فنّ) — الى حدّ من الزمن يتمكن معه من الاجتماع بالقديس باترك St. Patrick ، أو أن يختلط بنساء الجنّ في بلاد الشباب ، ويتحوّل في شتى أدوار حيـاته من نبي الى ساحر ومن ساحر الى شاعر ، وهلم جرا ، كما هو ظاهر في الآثار الأدبية المنسوبة اليه . والخلاصة أن كلّ ظاهرة في حياة هذا الشاعر تدلّ دلالة

صريحة واضحة على أنه لم يكن فى الحقيقة الا من بعض آلهة الأساطير الكلتية القديمة

ولا يقف كامبل عند هذا الحد ، بل يهاجم أنصار مكفرسن من ناحية أخرى . فهو يرى ، من مقابلة هذه المنظومات التى ادعى أنها مترجمة مع غيرها من الأشعار المتحدرة عن طريق الرواية والنقل الشفهى أن هناك اختلافاً وفرقاً كبيرين وواضحين فى الموضوع واللغة . فما ( فنّ ) كما هو مذكور فى القصائد التى تتداولها العامة إلا بطل إنسانى الخلق ، وديع الطبع سهله ، رقيق الاحساس ، ولطيف النفس ؛ لا يعرف العنف والكبرياء ، فهو لذلك ذو نفوذ فى قبيلته ، تقوم سلطته على حبهم له وتعلقهم به ، بينما الناظر فى صفات ( فنّ ) كما جاء فى شعر مكفرسن يرى أنه فارس ساط غشوم ، وجهم عنيف ، خلو من كل عاطفة رقيقة وإحساس لطيف ! لهذا كان نفوذه وسلطانه مبنيين على خشية القوم له ورهبتهم منه

هذا ، عدا أنه لا ذكر فى القصائد المنقولة شفاهاً لملكة ( مورفن ) التى ورد ذكرها فى أشعار مكفرسن

أما من ناحية اللغة والأسلوب فالباحث فى هذا الأدب فى كلتا سبيليه : سبيل الرواية والنقل الشفهى ، وسبيل مكفرسن ، يرى أن لغة أدب مكفرسن مفعمة بالتعابير الحوشية ، والاصطلاحات الأجنبية التى تميزها من اللغة المعروفة فى سكوتلندا الشمالية ، بينما لغة أدب الرواية والنقل الشفهى محكمة السبك ، موحدة التركيب متسقة الأسلوب ، لا اضطراب فى معانيها ولا ضعف

وخلاصة رأى كامبل أنه لم يكن فى اللغة الغاليقية أشعار كالتى ادعى مكفرسن أنها مترجمة ، وأن هذه اللغة التى استعملها فى كتاباته لم تكن فى الحقيقة إلا لغة القرن الثامن عشر ، وجلّ ما هنالك مجموعة أشعار قديمة وحديثة متنوعة ، كانت العامة تتداول معظمها بينها ، جمعها مكفرسن ورتبها وسواها بشكلها المعروف ، شأن المهندس الذى يخلق من البيت الأغريقى القديم بيتاً حديث الشكل والطراز

— ٤ —

والباحث يخرج من كل ما مرّ بخمس حقائق مجرّدة ، هى زبدة ما وصل اليه مؤرخو الأدب الانكليزى فى هذا السبيل الوعر الشاق :

١ — أن قصيدة أوسيان أو أوشان التى تنسب إلى مكفرسن لم تكن ترجمة خالصة عن الآثار الأدبية الأصلية

٢ — أن مكفرسن استخلص منظوماته من آثار أدبية قديمة متفرقة ، وذلك بالجمع والغربلة والحذف والتعديل ، وخلع عليها ثوباً جديداً كفل لها الخلود فى عالم الأدب

٣ — أن جميع الظواهر تدل دلالة واضحة على أن مكفرسن لم يضع هذه الآثار الأدبية من عنده ، وأنه لم يتعد كونه فناناً حاذقاً عرف كيف يستخرج من أمزجة ومركبات عتيقة بالية قطعاً فنية رائعة ، وأن أوشان نفسه لم يكن المؤلف الحقيقى لهذا القصائد كما ادعى مكفرسن

٤ — اذا كان أوشان ناظم هذه القصائد ، عُدّ بحق فى طليعة شعراء العالم على الاطلاق

٥ — أن مكفرسن فتح بذلك فتحاً جديداً فى عالم الأدب ، فعمّت شهرته الأدبية أوروبا وبعد أثره فى الأدب الأوروبى عامة ، والانكليزى والألمانى خاصة

( يتبع ) جريس القسوس

الشعر فى مهرجان المتنبى

# صوت دمشق

## للأستاذ عز الدين التنوخى

عاش فوق الثرى وتحت التربِ   خالداً فى قلوبنا المتنبى
ظل ألفاً من السنين يسمى   شاعرَ اللفظ والعلى والحربِ
ربَّ بيت من شعره يتلظى   كافلا أن يشبَّ نارَ الشعب
يصف الحرب للجبان فيغدو   وهو بالطعن هائم والضرب
يا لعينٍ من شعره العذب فيه   غمزات الهوى وسحرُ القلبِ
ذاب من رقة الخدود ومن قسـ   ـوة قلب من عاذل غير صبٍّ
غزلٌ حسن صوغه حمل الظَّـ (م) نَّ على أنه صريع الحب
يذر الغافل الخلىَّ شجياً   ويردُّ الأبىَّ طوعاً يلبى
ساحرُ الشعر فاتناً كهديل الـ
وُرْقِ فى الروض غِبَّ جودِ السّحب
رائد من مسالك الروح ما بيـ   ـن شغاف من القلوبِ وخِلْبِ

* * *

يحتذى فى البديع حذو أبى تمـ   ـام والبحترى بنسج العَصْبِ
إن يعيبوه بالغريب وضعف الـ   ـطبع حيناً وباقتعادِ الصعب
فهو شِبه الجبار يأخذ ما يلـ   ـقاهُ بالقهر حوله والغصب
شعره فيض طبعه لا كشعر   قدَّهُ العِىُّ من صخور صلب
لم يُؤَوَّل ديوانُ شعر كديوا   ن أبى الطيب المرير العذب
هو مرٌّ على الأعادى وعذبٌ   للمحبين فى الجفا والقرب

* * *

لست أنسى رؤياه وهو مليك   فوق عرش من القنا والكتب
وحواليه دولة الشعر قامت   تسلُب اللب بالبيان وتسبى
من رعاياه سيف حمدانَ من كا   ن إذا ما ذكرته قلت حسبى
والسرىُّ الرفَّاء أنداهم لفـ   ـظاً وأدناهم لمعنى القلب
وابن جنى رأيته يشرحُ الديـ   ـوانَ شرحاً له يروق ويُصبى
لو حسبناهم من الطير كان الـ   ـمتنبى أميرَ ذاك السِّرب
يُنشد الشعر بينهم فتراهم   كالرحى إذ تدور حول القطب
كسُكارى وما همُ بسكارى   بل نشاوى خمر الهوى والعجب
سمعوا لحنه فهاموا جميعاً   لا ترى غيرَ هائم أو صب
برخيمٍ يُنسيك مزمار داو   دَ وألحانَ معبدٍ فى الحب
فهو فينا ذاك الطبيبُ المُرجَّى   من مريضٍ لروحه مستطبٍّ
حفظ الناسُ شعره فهو درس الـ
دّهرِ فيهم والدهرُ خير مربى
كم وردنا ماء فلم يروِ منا   ظمأً غيرُ مستقاه العذب
وتلونا من آيه سور المجـ   ـد وشِمْنا برق المنى ليس يُخبى
حكمةٌ يبهر المعرى سناها   فهى صوب النهى وذوب اللبِّ
حالفته منذ الشبيبة حتى   أن توارى فؤاده فى الترب
لم يذرها يوم الصريخ ولا يو   م نشيدِ الألحان بين الصخب
ينظم البيت غادياً وهو فى الشر   ق فيمسى لسحره فى الغرب
حلبٌ قد غدت بأحمد شهباً   ء لشعب له خلود الشهب
مادح (السيف) كان يدعى فأمسى السـ
(م) يفُ يدعى أمدوحة المتنبى
إن مجداً أوتيه أخلدهُ الدهـ   ـرُ خلود الآداب مجدُ الشعب
ضامهُ أن يرى بنى العرب فى ضيـ   ـم علوج بغير عهد ولب
وبنو العرب ليس تفلح إلا   بملوك منهم أباةٍ عرب
لا يبالى الشرقُ المضيمُ إذا ما   اتحد العرب ساعة بالغرب
يثب الليثُ إن أثيرَ وليث الـ   ـعُرب فى الناس رابضٌ للوثب
أىَّ يوم أرى الطلائع منا   غائراتٍ على الجياد القُب
يهجر الطِّرسَ واليراعَ فتانا   ليراع من القنا والقُضب
لا يرى المجد غيرَ فتكته البكـ   ـر ونَيل استقلاله بالغصب
ذاك يوم محجَّلٌ فيه تحطيـ   ـمُ قيود وفيه تهتيك حُجب
ذاك يومٌ يقرُّ عينَ أبى الطيـ (م) ب بالعُرب وهو تحت الترب
إنما شعرُه الشعور المروَّى   بسلافٍ من البلاغة عذب
وقصيد الفحول يهرم إلا   شعره فهو فى شباب رطب

فالمبانى مُختارها ملء عينى والمعانى أبكارُها ملء قلبى
ينتمى كل شاعر لحماه وهو للعُرب ينتمى والشهب
شعراء الأجيال يمشون فوق الـ أرض طراً ومشيه فى السحب
ملأ الكونَ شعره شغل النا س بأحوال جدهم واللعب
سار فى الناس جانباً كشعاع الـ
شمس يذكو فى كل قطر وشعب
فهو مسعار ثورة وهدى قلـ ب ولحن الهوى وحَدْوُ الركب
شعرهُ صورة الحياة لهذا يتمشى مع الحياةِ لجنب

عز الدين التنوخى

كاتب سر المهرجان العام

---

ومن قصيدة الأستاذ محمد رضا الشبيبى فى المتنبى :

خلت العصور وما خلت من ناقل أو قائل هـذا الحكيم الخالد
أو مورد للقول فيمن حيرت منه الفحول مصادر وموارد
ما العبقرى الفذ إلا فكرة إن مات عاش بها الرميم الهامد
وإذا تأملت الخلود أصبته فى الصالحات وحيث يفنى الفاسد
لا بد من نقد الزمان فانما نحن المعادن والزمان الناقد
حسدوا النبوغ وناوأوه فلم يمت بل مات بالداء الدفين الحاسد
يا شاعراً قاد القلوب لغاية لم يدن منها شاعر أو قائد
قرنوا بكل مفوه شيطانه أما قرينك فالعظيم المارد
أمتعتنا بذخائر الشعر الذى لولاه ما نبذ المتاع الكاسد
نُشرت به فى كل فج حكمة وتعوطى المثل البليغ الشارد

---

ومن كلمة الأستاذ محمد البزم :

إله القوافى إن عصتك نبوة فذا الشعر تجرى فى علاك جحافله
ففى كل بيت صاهل ومدجج وكل قصيد عسكر وقنابله
فكم وحدة مارستها وهواجر ولا الف إلا أهيف القد ناحله
يراع لأهواء المعالى مسخر يكايلها اهواءها .وتكايله
يحس دبيب الحزن من قلب ذى الجوى
ويقلقه فى صدر ذى السقم واغله
وتوقظ منـــه خطرة الشك والمنى
ومجرى الهوى يسطو بذى اللب خايله
إذا ماج رقراق السراب نسجته غلائل شعر لا ترام مغازله
تطيف بك الجنان حتى كأنها تلقف عنك السحر ينهل سائله
كأن وفود الجن فى كل فدفد عفاة تليهم من همام طوائله
ولو كان للأصقاع لب يسوسها
سعت تجتديك السحر فى الشام بابله

---

ومن قصيدة الأستاذ باقر الشبيبى :

يا ناشد الوحدة ما أوضحها فى وحدة الدم ووحدة النسب
هـذا أبو الطيب حى خالد ما مات من أسس دولة الأدب
أحدث فى قلب الزمان هزة لولا المقادير تقيه لا نقلب
وفت دمشق حقه معربة فى حفلها ، إن الوفاء للعرب
وليس يكفى مهرجان واحد ينشد فيه الشعر أو تلقى الخطب

* * *

مغانىَ الكوفة ! هذا بَرَدَى قد صفقت أمواجه من الطرب
ساهم فى الذكرى فكم مهذب فى الغوطة الغناء يشرب النخب
ما أنجبت هذى البلاد شاعرا إلا أبا الطيب شاعر العرب

---

ومن قصيدة الأستاذ خليل مردم :

يا مالىء الدنيا وشاغل ناسها الدهر راوية لشعرك منشد
ضمن الزمان بقاءه فكأنما أنفاسه فى صدره تتردد
آياته لا تنقضى وعظاته كالبحر زاخر موجه لا ينفد
لله رأيك فى السياسة إنه سهم إلى كبد الصواب مسدد
العرب ما صلحت على يد أعجم حكم الأعاجم للعروبة مفسد
أخذوا عليك قساوة ولو انهم خبروا النفوس كما خبرت لأيدوا
شكواك ما زلنا نعانى مثلها كف مضرجة ووجه أسود !

# القصص

قصة مصرية

## شـباب . . .

للأستاذ دريني خشبه

« الأغاني والحوار موضوعات في الأصل باللهجة المصرية ... »

— « بل لا بد أن أذكر لوالدتها كل شيء ! »

— « ياسيدتي مالنا وللناس ، حسبنا أن نأكل خبزاً ونشرب لبناً وعسلاً ! »

— « آه ... لا ... نأكل خبزاً ونشرب لبناً وعسلا ونترك هذا الموظف اللاهي يعبث بابنة صاحب المنزل ! لا ! ليست هذه أمانة يا متولي ، لا بد أن أنقذ عرض هـذه الصغيرة ... إن ليلى شابة ، والشباب لا عقل له ، وربما اعتدى ... »

— « أوه ! مالك وللناس ! إنهما لابد يحبان بعضهما بعضاً يا بخيتـة . ألا تذكرين ما كنا نصنع ، أنا وأنت ، قبل أن نتزوج . ؟! »

وتستحي بخيتة وتسكت قليلاً ثم تتنفس تَنفُّسَةً عميقة وتقول :

— « الحمد لله يا متولي ، لقد كنا نحب بعضنا ، هذا صحيح ، ولكن ، الحمد لله ، لم نُغضب ربنا ! ؟ »

— « مرحى مرحى ! صحيح نحن لم نُغضبه قط ، وأحسبه قد غفر لنـا الألف ألف قبلة التي تبادلناها ! »

ويشتد خجلها ، وتصمت لحظة ثم تقول :

— « أنت دائماً مبالغ يا متولي ! ألف ألف قبلة ؟ إن هذا العدد لا يؤخذ في أقل من عشر سـنين ، ونحن لم نحب بعضنا أكثر من شهر ! »

— « ثم انقطع ما بيننا من حب ؟ أم ماذا ؟ »

— « بل تزوجنا ! »

— « وليتنا ما تزوجنا ! »

— « فأل الله ولا فألك يا متولي ! لماذا يا شيخ ؟ »

— « لأن قُبلنا كانت حلوة جداً قبل زواجنا ! »

— « والآن ؟ هل هي مرة ؟ أم ماذا ؟ »

— « ... ؟ ... »

— « قم بنا »

— « إلى أين ؟ »

— « إلى السطح ! »

— « لماذا يا امرأة ؟ »

— « لأريك ماذا تصنع ليلى مع هـذا الموظف « سامي افنـدي » . ! »

وهرولا فوق الدَّرَج ووقفا خلف ( المَنْوَر ) الزجاجي المطل على غرفة سامي ، يريانه ولا يراهما ...

***

فتى في الرابعة والعشرين ترف على جبينه سحابة من الحزن ، يلونها الحب بأمواه باكية من الحنان والرحمة والهدوء .. له عينان عميقتان كأنما تخرقان حجب الزمان أو تناجيان سكان السماء ؛ ينظم الشعر ويهيم بالغناء ويشغف بالموسيقى ، ويجمع في مسكنه بالطابق العلوي من هذا المنزل المتوسط طائفة مختارة من التماثيل أهداها إليـه أصدقاؤه المولعون به لنفر من فنانين مصريين وعرب . وهو موظف في مصرف أجنبي يتقاضى مرتباً لا بأس به ، يستطيع أن يضمن به صفاءه الذي لا بد منه للشعر والغناء والموسيقى ... والحب الذي يسق هؤلاء

كان إذا هدأ الليل ، هدأ هو إلى عوده ، وطفق يمر أنامله على أوتاره في لين ورفق ، كما ترى النسمات النحيلة العليلة على صفحة الغدير الصغير ؛ فاذا غنى ، أرسل من قلبه ألحاناً هي لا شك روحه ممتزجة بموسيقاه ؛ ولم يكن يغني إلا ما ينظم هو ، لا ما ينظم الشعراء ؛ وكان ، إذا سئل في ذلك ، يتعلل بأنه يأبى

أن يكون كنادبات الجنائز ، يرجّمن كلاماً محفوظاً ليبكين به النساء ... فالشعر شعره ، والغناء غناؤه ، والموسيقى موسيقاه ، وجملة أولئك صورة روحه التي تشعر وتغنى ، وترن وتئن على أوتار العود

وكانت ليلى ابنة صاحب المنزل الذي يقيم فيه سامى ، فتاة فى الثامنة عشرة ، لها لَفْتةٌ وفى عينيها سحر ، وملء قلبها أمانى ... ما كاد الساكن الجديد يملأ منزلها بصباه العطر ، وغنائه ذى الشذى ، وموسيقاه ذات المعانى ، حتى رجعت هى أصداءه جميعاً ، وأحست كأن الساكن الجديد لم يأت ليشغل الطابق العلوى من بيتها ، بل ليحتل السويداء من قلبها ؛ فكانت كلما أقبل سامى من عمله فى المساء تشعر كأن كهرباء ملأ قلبها ، فهو يدق ويدق ، ويخفق خفقاناً شديداً ، ويسرى فى جميع أعصابها بكل حاجات الشباب الذى أضر به كبت المحبسين : المنزل الشرقى والتقاليد !

وكانت موجات أثيرية من غناء سامى وموسيقاه تشيع فى أرجاء المنزل فتهز أركان ليلى ، وتذيب فى عينيها دموعاً ليست كهذه الدموع التى يحتلبها البكاء ، ولكنها دموع علوية لا يدرى المحب من أين تنهمل ، لولا ما فى أغواره من معانى الهوى ....

وانسرقت ليلى فى أمسية إلى (السطح) ووقفت مختبئةً فى نفس المكان الذى وقف فيه هذان العجوزان — متولى وبخيتة — يتلصصان على كيوبيد ، حين يرشق القلبين الحبيبين بسهامه الذهبية !

وقفت ليلى ثمة ، وتلبثت طويلاً تملأ أذنيها وقلبها بغناء سامى وحبه ، ثم جعلت بعد ذلك تنسرق كالمرة الأولى ، حتى تنبه غافل الشباب ، فراح بدوره يرسل إليها أغانيه حاملة قلبه ، ثم لم يجد بأساً ، وقد تأكدت بينهما أواصر الحب ، من أن يفافلها وينسرق إلى حيث هى ، فلا يكاد يسقط فى يديها وترتبك ارتباكة يسيرة حتى يقدم إليها يده المرتجفة ، فتصافحه وتنفتل منه فتطوى الدرج إلى ... حيث تكون بخيتة مصمدةً فتكتشف السر الناشئ الذى لما يكد يشب أو يترعرع ...

***

كان سامى يجلس على كرسيه محتضناً عوده ، وأمامه ليلى على (كنبة) تحدق فيه ، وقد وضعت رجلا على رجل ، وبدا ساقاها الممتلئتان طراوةً ونعومة وحياة وانسجاماً ، واتكأت بظهرها على المسند فنهد جيدها المرمرى ، وبدت انفلاقة الثديين من فتحة الثوب الوردى الذى كانت ترتديه ، فاختلط ورده بوردها المتفتح فى كل جزء من جسمها الناضج السّوِى ، وأسندت فَوْدها على يمينها قليلا ، وتهدلت خصلة من شعرها الأسود الفاحم على أصابعها فزادتها فتنة

وكان سامى يداعب عوده ، ولم يكن ينظر إلى ليلى ، بل كان مطرقاً برأسه قليلا ، حتى إذا استغرقته الموسيقى أرسل من عينيه عَبْرتين لمحتهما ليلى فنهضت مسرعة وتلقتهما فى منديلها الحريرى الجميل ... ثم جلست إلى جانبه ، وأرسلت ذراعها البضة فوق كاهله ، وأدنت رأسها من رأسه ... ولم تكلمه !

وصمت سامى لحظة ، ثم شرع يتغنى أغنية مطلعها :

إيه يا ليل ، وقد طاب الهوى
وصَفَتْ أنفاسُهُ للأنفس
ما لقلبى خَفِقاً ؟ ! هل من جوى
ومُنى نفسى معى فى مجلسى ؟

وكان الفتى يرسل غناءه هادئاً يترقرق فى أذنى ليلى ، وكانت نبراته ونبرات العود تأتلف وتسرى فى الهواء فيرقص من أسْرها لهب الشمعة التى كان سامى يؤثرها على لألاء الكهرباء كلما غنّى ... وكلما زارته ليلى

وفرغ سامى من غنائه ، وسكنت الحجرة قليلا ، ثم نادته فتاته :

— « سامى ! »

— « ليلى ! »

— « هل أسعد منا حبيبان فى هذه الحياة ؟ »

— « كنت أرجو ذلك يا ليلى ... »

— « ولم لا نكون يا سامى ؟ »

— « آه ... أكثر الناس يحبون على أمل ... أما نحن ... »

— « مالنا ؟ »

« لا شىء ... لا شىء مطلقاً يا ليلى ، لنعد إلى أحلامنا وموسيقانا فهى غذاء روحينا . دعى هذا الحديث فانه يزعجنى . بحسبى أن أكون معك لحظة بعد أخرى فأذوب وأحترق ! »

— « بل سنتحدث ؛ بل ينبغى أن نفكر فى المستقبل ، إنى

لم أعد أطيق فكرة بعدى عنك يا سامى ! إغفر لفتاة عذراء مثلى أن تكلمك هكذا ! لقد امتزجت روحانا فليس يضيرنى أن أصارحك ! لقد اقتنع قلبانا ألا غناء لأحدهما عن الآخر ، فلم نجلس صامتين تلقاء المستقبل الذى يروعنا بالفراق ولا نفكر فى أن نحسم مشاكله ؟ »

— « وهل نستطيع ذلك يا ليلى ؟ أنسيتِ ... »

— « نسيتُ ما ذا ؟ لا ... لا تظن ذلك محالا ! »

— « ليلى ! ما ذا تريدين أن تقولى ؟ »

— « إطمئن ! »

— « أطمئن كيف ؟ »

— « أجل ، يجب أن تطمئن ، لقد صممت على أمر عظيم ! »

— « ليلى ! »

— « بل لن تردنى أية قوة فى العالم عما اعتزمته يا سامى ، أليس كل ما يقوله الأغبياء إننى انهزمت بدينى أمام حبى ؟ »

— « ليلى ! »

— «لينهزم هذا الدين فأنا لم أعرفه بنفسى ...أما الحب...»

— « أنت جريئة جداً يا ليلى ! لا ... لا ينبغى ... هذا كثير ! »

— « لا ينبغى ما ذا ؟ ألست تتفق معى ؟ »

— « وكيف أتفق معك يا ليلى ودينى يرينى الله من خلل الحب ؟ »

— « إذن اتفقنا ، إننى لم أر الله إلا يوم أن رأيتك ! ويجب أن أصل الى الله عن طريقك يا سامى ... إهدنى يا سامى ... لا تردنى بعنف هكذا ، إنك مسلم رقيق القلب مرهف الحس فياض العاطفة ، وإن روحك تتكلم باسان الموسيقى يا سامى ، فلا تحاول أن تكون جباراً علىّ ، لا تحاول أن تردنى عما اعتزمته ... أ ... ألا تريد أن نأمن غائلة الفراق ، والفراق الأبدى يا سامى ؟ »

— « وكيف لا أريد يا ليلى ! »

— « ساعدنى إذن ، خذ بيدى الى ناحيتك ... سامى ... سامى ... »

وانفجرت الفتاة تبكى بين يدى حبيبها ، وأخذ سامى يلاطفها ويُرَفِّه عنها ، ولكنها دسّت رأسها الجميل فى صدره ، وأغفت إغفاءة هينة لم يوقظها منها إلا شدة خفقان قلب سامى ... قلبه الكبير جداً ، الذى أشرب حب ليلى ، وامتزجت كل قطرة من دمه بتقديسها !

— « صحوت يا ليلى ؟ »

ولكنها أجابته بنظرة فاتنة من طرف عينيها المبللتين بالدموع

— « كلمينى يا حبيبتى ... ليلى ؟ »

— « سامى . . . اسكت ! إن هذه الفترة الصامتة الباكية أسعد فترات حياتى ! »

وطوقها سامى بذراعيه ، وأخذ ينزح أسرار عينيها الباكيتين بعينيه العميقتين ، ثم أهوى على فمها القرمزى ذى الثنايا المفلجة يقبله ... ويقبله

* * *

— « أرأيت يا متولى ؟ هل صدقت ما قلته لك ؟ والله لأخبرن أمها ! »

— « بخيتة ! ! أنت طالق إن فعلت ! يا غبية ! يا أقبح النساء ! »

— « أنا ؟ أنا أقبح النساء ؟ وأنت ؟ أتحسب أنك زين الرجال ؟ »

— « لا ... ولكنى كنت أطمع فى ... فتاة طيبة ... »

— « مثل ليلى أظن ؟ »

— « أجل ... »

— « إسم الله عليك يا سامى أفندى ! »

— « أحببته ؟ أم ماذا يا امرأة ؟ »

— « صوته جميل ... أما صوتك ، فخميرى خالص !! »

— « اسكتى يا خنزيرة ... هلمى بنا ، كاد شباب الحبيبين يتلف قلبينا العجوزين ! »

* * *

ونزل الخادمان وفى قلب كل منهما غصة تزلزله

وبعد أيام همس الناس فى هذا الحى من أحياء المدينة أن ليلى ابنة (...) اليهودى قد صبأت ... واعتنقت الاسلام

وبعد أيام أخريات ، تأكد هذا الهمس ، لأنها تزوجت سامى أفندى بالفعل ، ونقل العروسان الى الاسكندرية ليعيشا ثمة حياة هانئة ناعمة موفورة

دريني خشبة

من دروس البادية

# محنة الرجولة

## للأستاذ أديب عباسي

مرت السنون وتصرمت الأعوام، والأمير الكبير يلتمس رحمة المولى ويرتقب جداه ليهبه وارثاً من صلبه . يرث اسمه ويخلد ذكره، وينتهي اليه ماله وجاهه . بيد أن الأيام كانت كلها سواء في إذهاب الرجاء وتخييب الأمل ، وأوشك الأمير أن يُصغي ولما يجيء الوارث المرتقب

غير أن المولى افتقد الأمير في سنة من سني يأسه ، وحملت زوجته بعد طول الخيبة ، ووضعت طفلة أسمياها (سلافة) . ولم ييأس الأمير أو يبتئس إذ كان الوليد أنثى ولم يكن ذكراً . وماذا كان يرجو من الأيام ليبتئس بعد أن خاصمته في آماله وتجهمت له هذه الأعوام الطوال ؟

ونشطت عواطف الأبوة قوية جائشة بعد طول الكبت وغياب الحافز ، وهبَّ الأب يريق على الصغيرة من عطفه وحبه ما صيرها سلواه وكل أمله في باقي حياته

وشبت الصغيرة كما تشبُّ بنات البادية غضة نضيرة ، بقامة هيفاء وصحة مترعة ؛ هذا إلى ما حباها الله وأفردها به افراداً من جيد أغيد ، وثغر أبلج ، ووجنتين تفيضان بالحياة وتنضحان البشر نضحاً ، إلى جبين مشرق نبيل يكلله ويزينه فرع أثيث وحف ، ثم ما تجمع جميع ذلك النور والسحر في مجتمعين للنور والسحر ، ومن ثمَّ كل ذلك الفيض فيهما من الفتنة القاسرة والقوة الآسرة

هذا ، ولم يدع الأمير وسيلة من وسائل التهذيب التي تيسرها البادية إلا اصطنعها في تهذيب (سلافة) ، حتى غدت إذ شبت فتنة البادية ، وحديث المجالس ، ومدار الهواجس ، ومطاف الأحلام في صدور الشباب . وذاعت شهرة الأميرة في طول البلاد وعرضها ، وتواصفها الأمراء والأشراف ، وأخذت تحوم حولها الأنظار ، ويهطع اليها الخيال من جميع نواحي الطموح في البادية

بيد أن الأمير اشترط على الخطاب الطامحين أن يجوزوا امتحاناً يعدُّه لهم ، ومن يفز فيه فاز بفتاته وأضحى الوارث الشرعي له في أمارته . وأما من فاته الفوز وخانه التوفيق فيتلقى عقابه لوعةَ الحرمان ومرارة الفشل ، ومائة جلدة وجزَّ شعر الناصية ؛ وأباح الأمير امتحانه هذا كلَّ طامح بلا تفريق في الجاه أو المال أو الشهرة أو خلافها من وسائل التمييز

وخشيت (سلافة) ، مع هذه المساواة التامة بين الخاطبين ، أن يجوز الامتحان غيرُ كفء ، وغير من تهوى وتحبُّ ، وقد يكون الفائز صعلوكا من صعاليك البادية ، أو ذئباً من ذؤبانها ؛ وقد يكون أسود بغيضاً مرخى المشافر واللحيين ؛ وقد يكون فتىً مخنثاً فاتر العزم ، باهت الرجولة ؛ وثمّة فللموت أهون عليها وأعذب

فألحت أباها فيما يساورها من مخاوف ويدب اليها من ريب ، ولكن أباها الأمير طمأنها وأكد لها أن امتحانه لن يجوزه غير كفء ، وأنها سوف تحمد له عاقبة هذا التدبير الذي يدبر

***

جاء الخاطب الأول ، وكان زعيما ذائع الشهرة كثير المال ، شريف المنتسب ، حسن البزَّة والمظهر ، وجاء يسوق بين يديه عديد الهدايا وأنواع الطرف ، وقدمها وسيلة للأغراء والزلفى ، وحلَّ ضيفاً كريماً على الأمير بعد أن كشف عن غرضه ومبتغاه

واستقبله الأمير — كعادته مع جميع الأضياف — مرحباً مؤهلا ، ثم عمد إلى خير نياقه وأعزها عليه وعقرها ثم نحرها أمام البيت ، ودعا إلى الوليمة أدنى من في الحي ؛ وبعد أن نال الجميع من الطعام إلى حد الشبع ثم أديرت القهوة التفت الضيف الخاطب يخاطب الأمير :

أي أميرنا العزيز ! لقد جئناك في (سلافة) درة البادية ، وفتنة العقول ، وغاية السول ؛ فماذا ترى أن تضع بيننا من الحواجز ، وماذا ترى أن تقيم بيننا من العقبات ؟ لقد ملأ نفسي ذكر فتاتك ، ولست بعائد ومؤيدي بعد الله همتي إلا بها

فأجاب الأمير : على رسلك يا ضيفنا العزيز ! إن ضيفنا يقيم بيننا أياما عشرة ، ثم يكون الامتحان ، وعندها إما (سلافة) له ، وإما المائة جلدة والشعر المجزوز

ولم يسع الخاطب الطامح إلا الاذعان والصبر حتى يحل اليوم الموعود

وفى صبيحة اليوم التالى عمد الأمير إلى ناقتين من خير نياقه ليجزرها كاليوم الفائت ، وهنا أراد الضيف الخاطب أن يعارض الأمير ويمنعه أن يعقر ناقتيه محتجاً بأن فى جزور البارحة الكفاء وأن نحرها إسراف وإتلاف للمال لا مبرر لها . إلا أن أميرنا لم يجبه بشيء ومضى يعقر الناقتين ويجزرها ويعدُّ الوليمة ، وعند الظهر أقبل المدعوون من أدنى الحى وأواسطه وتناولوا الطعام مع ضيف الأمير . ومضى الأمير يفعلها كل صباح ويزيد العدد المنحور ناقة ناقة إلى اليوم العاشر ؛ ومضى الضيف يزداد لجاجة فى الاحتجاج وإلحاحاً على الأمير أن يقتصد فى ماله فلا يتلفه هذا الاتلاف ، ولكن بلا جدوى

وتقدم الضيف بعد اليوم العاشر يطلب إلى الأمير أن يجرى امتحانه ، فلقد طال ثواؤه وعيل صبره وافتقده أهله ، ولكن كم دهش وكم حلَّ عزمه اليأس والخيبة إذ فاجأه الأمير :

أى ضيفنا ! يعزُّ علينا أنك خسرت الرهان وفاتك الفوز ، فلتذعن إذا لجزائى المفروض وتستكن

عندها أجاب الخاطب المحنق محتجاً بأنه لم يجر عليه امتحان ليعد فاشلاً يستحق العقاب ، وطلب إلى الأمير أن يفسر له مادعى إن يكن يروم الاقناع بالدليل والبرهان ، ولكن الأمير أصرَّ على أنه خسر الرهان وأن ليس حاجة إلى التفسير ثم أشار إلى غلمانه أن يتسلموه . . .

وقام صاحبنا ينكث أذياله وغادر الحى بناصية مجزوزة ، ومائة أثر فى ظهره لمائة جلدة ، وصدر يغلى بالحقد ومرارة الفشل ، واعتقاد جازم أن بصاحبه الأمير لَمَّا أو لمماً إن لم يكن ذا جنة وخبال

وذاع أمر المحنة والجزاء ثم ما أصاب أول الخاطبين من جز الشعر والضرب الأليم . إلا أن ذلك لم يوئس الخطاب بادىء الأمر ولم يمنعهم من الوفود على الأمير علهم ينجحون من حيث فشل صاحبهم . على أن نصيبهم لم يكن بخير من نصيب أولهم ، فكلهم كان يعود باللمة المجزوزة والظهر المجلود ، ولولا أن الأمير كان برجاله وفروسيته عزيز الأبطال لكان لهم معه شأن غير ذلك الشأن ، ولنالوا منه بحد السيف ما فاتهم بالامتحان

وبعد الفشل المتوالى الذى منى به عديد الخطاب تجافى الخاطبون مضارب الأمير وعافوا الوفود عليه خاطبين ، إلا فتى شريفاً جاء من أطراف البادية وآلى ألية لينالنَّ سلافة أو يقتلن أباها وربع البادية من عتوّه أو يهلكن على حد السيوف دونهما

ولم ير فتانا أن يثقل كاهله بنفيس الحلل وغالى الثياب ، ولم يسق بين يديه الهدايا والطرف ، واكتفى ببزة بسيطة وتخفف من كل ما يحمل المسافر إلا سيفه القاطع وبعض الزاد ، وسار يغذُّ السير أياماً إلى أن وافى الأمير وحل ضيفاً عليه وأبان غايته من الوفود عليه

وشرع الأمير كدأبه مع جميع الخاطبين ، ينحر الجزر يوماً بعد يوم والفتى صامت لا يعترض ولا يجادل ، ولا يتكلم إلا حيث يجمل الكلام ، ويصمت حيث يجب الصمت

وقد اجتذب فتانا بحسن سمته وقلة حديثه عن نفسه أنظار القوم وأيقنوا بأنه فتىً يختلف أبين الاختلاف وأشده عن بقية الخطاب ، فلا ظهور ولا إدلال بالجاه ولا غرور ولا شيء من ذلك الذى كان يضيفه أولئك الخطاب إلى شخوصهم ليتقربوا به زلفى إلى الأمير . هذا إلى رجولة صريحة وفكر موزون ونبل ظاهر . وصار همَّ الجميع أن يجوز الفتى الامتحان المقيد ليكون هو وارث أميرهم والمؤمر عليهم بعده

وبلغت أوصاف الفتى وذكر شمائله خدور النساء ، وأضحى اسمه لديهن ملء الأفواه والأسماع . ولم تكتف سلافة بالسماع وكثيراً ما يفتن ، وأرادت أن تشاهد هذا الفتى الموصوف وترى هل يصدِّق الخبر عنه الخُبْرُ أو لا يصدِّق . وانتحت ناحية خفية من بيت الأمير الواسع وأخذت تتقرى الرجال وتتفرَّس فى الملامح وتصغى إلى الحديث ، إلى أن وقع بصرها على الفتى الموصوف . . . .

وفجأة شعرت أن قلبها يخفق أكثر مما اعتاد أن يخفق ، وخيِّل إليها كأن رئتيها لا تتسعان لكل ما تريد أن تدفعه إليهما من الهواء ، وشعرت كذلك كأن هذا الفتى قليل الكلام يتحدث إليها ويخاطبها أعذب الخطاب ... وخشيت إن هى بقيت حيث هى أن يشى بها اضطرابها أو تنم عليها أنفاسها المتهدِّجة ، ويعلم القوم أن فتاتهم الرصينة الخفرة قد خفَّت ورعنت فجاءت تشهد خطابها خلسة من وراء السجوف ، فتركت مكانها وفى قلبها كالسهام من العواطف المتباينة المتأججة ، فثمَّة هذا الحب

المفاجئ الذى أخذ عليها جميع مسارب الشعور ؛ وثم خشيتها أن يفشل الفتى فى الامتحان — إن يكن ثمة امتحان — وأخيراً إحساس قوى باللوم لهذا الأب المتعنت الذى لا يرضيه من الفتى ما رأى ورأى الجميع إلا أن يجوز الامتحان . وفى الحق لقد بدأ يخامر سلافته أن أباها إنما يصطنع هذه الأساليب الغريبة لينفر الخطاب وليبقيها عانساً يتأكلها الجوى وينوبها الحرمان . والحب — كما تعلم — إذا أحب حباً قوياً فقد التميز واختلطت عليه الأفكار ، ولا عجب إذن أن تنتهى فى أبيها الذى يعبدها إلى مثل هذا الرأى الغريب

***

حلّ اليوم العاشر وأوشك أن يزول ، فقام الأمير يوجه الحديث إلى فتانا وقال : أيها الفتى النبيل ، هل أنت مستعد لامتحانى أم أنت تخشى العاقبة فتعود سالماً لا لك ولا عليك ؟ فأجاب الفتى باختصار وحزم : إنى لعلى استعداد . وعندها أقبل الأمير على قومه يخاطبهم : أهنئكم يا رجالى بوارثى العتيد وأهنىء نفسى . ثم التفت إلى الفتى وخاطبه : أهنىء بك سلافة وأهنئها بك . فلأنت خير من يستأهلها يا بنى وهى خير من يستأهلك

ووجم الجميع إلاّ سلافة التى برزت من وراء الخباء [ إذ كانت جاءت خفية لتشهد المحنة ] وخاطبت إباها عابثة أو كالعابثة : أى أبت ، كيف تتعجل وتسمّينى لهذا الفتى ولما يجز الامتحان بعد ؟ فهلا أبقيت ذلك لنرى مبلغ همته ومقدار رجولته التى ستكشف لنا عنها فى ذاك الامتحان ؟

فأجاب الأب ، أى بنيتى العزيزة ، لقد حاز فتاك الامتحان من حيث لا يعلم ولا تعلمين . جاءنا هذا الفتى الشريف مستبهماً لم يسم نفسه قط ولم ينتسب ، ثم هو لم يحاول أن يدهشنا بثروته وجاهه وإن يكن له من ذلك الشىء الكثير ( كما دلنى على ذلك العيون وعيناى ) ، لقد جاءنا واثقاً من نفسه واثقاً أنه أهل لك دون أن يضيف الى شخصه الأسماء الكبيرة والمال الوفير والدعوى العريضة . ثم ألم يبلغك كيف لم يعارض ولم يجادل فيما حاولنا أن نغمره ونحرجه به من وسائل الاكرام ، شأن الخطاب الآخرين لنرى ما هو قدر نفسه عند نفسه ؟ ولو كان رأيه فى نفسه كرأيهم فى نفوسهم وإن حاولوا الظهور بخلاف ذلك ، لفعل فعلتهم وناله مثل ما نالهم . ولكن هو المحتد الكريم يأبى ألا أن يظهر ويستعلن . ثم أليس فى سكوته دون الذى حاولنا من غمره بأسباب الاكرام ما يدل على أن فضيلة الكرم هى طبع فيه وسجية فلا يستهولها فى غيره ؟ أو لم يكن استهوال الخطاب الآخرين مظاهر الجود والكرم التى رأونا نغمرهم بها دليلاً لا يخطىء على أنهم ليسوا الكرام الذين يدعون ؟ أليس المقل من المال أو الشحيح هو الذى يستكثر أعطيات الناس ومظاهر جودهم ؟

ولم يبق بعد هذا التفسير من لم يقتنع بخطة الأمير الحكيمة وأسلوبه المبتكر فى امتحان الرجال . وفى اليوم التالى عقد للفتى على فتاته بين أشد مظاهر الغبطة والحبور . وقضياها حياة مديدة هى السعادة والهناء .

أديب عباسى

# البريد الأدبي

## المباحث الأثرية الأولمبية

من أنباء ألمانيا الأخيرة أن الهير هتلر ، أعلن أن الحكومة الألمانية قررت لمناسبة عيد الألعاب الأولمبية أن تستأنف المباحث الأثرية فى أولمبيا (من أعمال مقاطعة بلوبنيس اليونانية) . وقد كانت أولمبيا منذ نحو ألفى عام مستودع التماثيل والذخائر اليونانية المقدسة ، وكانت ساحاتها معرضاً للحفلات الرياضية الشائقة . وفى عهد الامبراطور تيودوسيوس الرومانى فى القرن الرابع الميلادى منعت الألعاب الأولمبية ، وخربت الهياكل الدينية ، ونقلت تماثيل الآلهة إلى قسطنطينية بعد ذلك ، وفى القرن السادس وقعت زلزلة هدمت كثيراً مما بقى من الهياكل الأولمبية

وكان أول من لفت النظر إلى البحث فى الاطلال الأولمبية العلامة الفرنسى برنار دى مونفوكون فى أوائل القرن الثامن عشر . ثم تلاه العلامة الألمانى فنكلمان ونظم بعثة للقيام بالحفريات والمباحث الأثرية فى أولمبيا ، ولكن الموت عاجله وهو فى طريقه إلى اليونان . وفى سنة ١٨٢٩ أوفدت الحكومة الفرنسية حملة الى اليونان لمعاونتها فى حرب التحرير ، فقام بعض أفرادها بالحفر فى أولمبيا . وفى سنة ١٨٥٢ ، قام العلامة الألمانى أرنست كورتيوس — وقد كان أستاذاً للتاريخ القديم — بدعوة قوية للبحث فى أولمبيا ، واستطاع أن يحمل تلميذه القيصر فريدريش الثالث على تنفيذ مشروعه ؛ وأقر البرلمان الألمانى الاعتمادات اللازمة ؛ وقامت بعثة ألمانية بالحفر فى أولمبيا بين سنتى ١٨٧٥ و١٨٨١ ؛ واستطاعت أن تكشف عن ساحة « التس » الشهيرة برمتها ، وظهرت أيضاً اطلال معبد زيوس القديم ؛ وكان أعظم اكتشاف وفقت اليه البعثة تمثال « هرميس » الذى صنعه المثال الأشهر « براكستليس » ووصفه الرحالة باوزنيوس فى رحلته ، ووجدت أيضاً نحو سبعمائة قطعة أثرية مختلفة . وقامت بعد ذلك بعثات مختلفة أخرى بالحفر فى أولمبيا ؛ وعثرت بآثار كثيرة ، ولكن ما يزال هنالك مجال عظيم للبحث والحفر

وتزمع الحكومة الألمانية أن توفد فى القريب العاجل بعثة من علماء الآثار لاستئناف المباحث الأولمبية ، وسوف تزودها بجميع الاعتمادات التى تعاونها على القيام بأعمال واسعة النطاق

## فى أكاديمية الآثار والآداب

ألقى مسيو كلود شيفر رئيس البعثة الأثرية السورية فى أكاديمية الآثار والآداب الفرنسية خطاباً عن النتائج التى انتهت إليها مباحث البعثة فى رأس شمرا وخلاصتها أنه قد اكتشف حى جديد من مدينة أوجاريت عاصمة مملكة أوجاريت التى ترجع إلى ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد ، ووجدت عدة وثائق مكتوبة وقطع فنية من آثار هذا العهد ؛ ووجدت بالأخص إلى جانب أوجاريت أطلال مدينة قديمة يطبعها الطابع الفرعونى وترجع إلى نحو الأسرة الثامنة عشر . كما وجدت عدة ألواح مكتوبة بخط غير معروف يظن أنه قلم أوجاريت فى هذه العصور

## مؤتمر نسوى فى باريس

عقد فى باريس فى السادس والعشرين من يوليه مؤتمر دولى للنساء ذوات الأعمال والمهن ، واستمرت أعماله أسبوعاً ؛ وقد اجتمع فيه نحو مائتى مندوبة يمثلن أربعاً وعشرين دولة ؛ ومثلت الولايات المتحدة السيدة فرنسيس بركنس وزيرة العمل ؛ وقد استقبلتها الحكومة الفرنسية بصفة رسمية ، على يد مدام برونشفيج ممثلة لوزارة الخارجية ؛ وأقيم احتفال رسمى لتكريم المندوبات فى وزارة الخارجية ؛ وكان أهم الموضوعات التى ألقيت فى المؤتمر خطاب للسيدة بركنس تحدثت فيه عن « الحكومة والعمل » وتناول المؤتمر كثيراً من المسائل والموضوعات المتعلقة بالمهن والحرف التى تزاولها المرأة وحقوقها فى ذلك الميدان ، وما تصدره الأمم المختلفة من القوانين فى هذا الشأن

## مؤتمر تقدم العلوم

عقد فى شهر يوليه فى مرسيليا مؤتمر تقدم العلوم ، ومثل فيه العلماء الفرنسيون من كل فن ، الطب والهندسة والكيمياء

والرياضيات وغيرها . وألقيت فيه مباحث مختلفة عن أحدث النظريات العلمية ؛ وكان مما لفت الأنظار بنوع خاص الأبحاث التي قامت بها لجنة الهندسة البحرية التي تدور بالاخص حول هندسة الموانى الحديثة المدنية والحربية ، وألقيت مباحث هامة أخرى في الطب والنبات والحيوان وغيرها

## كتاب عن السحر

صدر أخيراً بالانكليزية كتاب عن السحر عنوانه « الفن الأسود » The Black Art ومؤلفه مستر « رولو أحمد » . وقد اختار المؤلف لكتابه عنوان : « الفن الأسود » لأن اللون الأسود كالسحر في مختلف العصور ، يقترن في أذهان الناس بالخشية والروع ؛ ويقول لنا المؤلف : إن السحر معروف عند الإنسان في عصور ما قبل التاريخ ، يدل على ذلك طائفة من الرسوم الحجرية التي وجدت في بعض الكهوف ؛ وقد كان المصريون القدماء أساتذة في « الفن الأسود » وكان له عندهم المقام الأعلى ؛ وكذلك عرف السحر جميع الأمم القديمة مثل الكلدانيين والأشوريين واليونان والرومان وغيرهم

ويستعرض المؤلف تاريخ السحر منذ العصر القديم إلى عصرنا ، ويحاول أن يشرح أساطير السحر ووسائله ؛ وأهم قسم في الكتاب هو المتعلق بالسحر في العصور الوسطى ، فهنا يجد المؤلف مجالاً كبيراً للتحدث ، ويصف لنا كيف ذاعت فكرة الشيطان في تلك العصور إلى حدود مدهشة ، وكيف كانت تمثل في كل شيء في الحياة العقلية والدينية

وقد زين المؤلف كتابه بطائفة كبيرة من الرسوم والنقوش والتعاويذ السحرية

## وفاة راقصة شهيرة

توفيت في أواخر يوليه فنانة كبيرة هي الراقصة والموسيقية الكبيرة « ارجنتينا » ، ولم تحرز راقصة في عصرنا من الشهرة الفنية بعد الراقصة الروسية الشهيرة آنا بافلوفا ؛ قدر ما أحرزت « ارجنتينا » . وكان ظهورها على المسرح في أوائل هذا القرن حيث ظهرت لأول مرة في بروكسل ولفتت الأنظار بروعة فنها وابتكارها . ولم تكن ارجنتينا راقصة فقط ، بل كانت موسيقية بارعة ؛ ولما ذاعت شهرتها أخذت تطوف مسارح العالم الكبرى ، في باريس ، ولندن ، وأمريكا ، وغيرها وهي تثير الاعجاب أينما حلت ؛ وكانت في فنها ، أي الرقص الأندلسي القديم قرينة بافلوفا ، وفي رقصتها الشهيرة « احتضار البجعة » . وكانت أبرع راقصة في استعمال الصنج « الصاجات » الأندلسية . وكانت أرجنتينا مثل زميلتها بافلوفا تحتفظ ببراعتها ورشاقها حتى أعوامها الأخيرة ، أعني وهي في حدود الخمسين . وكانت وفاتها في مدينة بايون على مقربة من بيارتز حيث كانت تمضي معظم أوقاتها في قصر بديع هنالك

وقد أحرزت أرجنتينا كثيراً من آيات التقدير لفنها وبراعتها ومن ذلك أن الحكومة الفرنسية أنعمت عليها بأرفع وسام من اللجيون دونير

## كتاب عن أرنولد بنيت

لم يمض قليل على وفاة الكاتب الانجليزي الكبير أرنولد بنيت حتى ظهرت عنه عدة تراجم وكتب نقدية . منها كتاب ظهر أخيراً بقلم النقادة سيمونس J. B. Simons بعنوان « أرنولد بنيت وقصصه » Arnold Bennet and his Novels ؛ وهو عرض نقدي مستفيض لآثار الكاتب الراحل ، وتلخيص بديع لقصصه ، وتعليق ممتع على خواص تفكيره وأسلوبه ؛ ويبدي المستر سيمونس في عرضه مقدرة فنية واضحة ، ويتتبع العوامل والمؤثرات التي اشتركت في تكوين أرنولد بنيت ، ويقول لنا إنه تأثر بالأدبين الفرنسي والروسي ، فكان من أساتذته هوسمان ، والأخوان جونكور ، وموباسان ، وتورجنيف وتولستوي ؛ ويرد مستر سيمونس على نقدة بنيت من قبله ولا سيما مستر بريستلي الذي اشتهر بشدته في نقد بنيت ، ولكن مما يلاحظ أن مستر سيمونس يميل الى التنويه بمحاسن بنيت والاشادة بخواصه ومقدرته ، وقلما يمس جوانب الضعف فيه ، وهو من هذه الناحية يغفل قاعدة النقد الصحيح : ويؤيد هذا التحيز إلى بنيت حملاته على جميع نقدته السابقين ؛ وينكر مستر سيمونس بشدة مايسنده بعض النقدة ، ولا سيما الكاتبة الشهيرة فرجنيا وولف ، الى بنيت من الميول المادية في الكتابة والتوجيه ، بيد أن الكتاب في مجموعه عرض حسن لآثار بنيت يقدم عن الكاتب وآثاره فكرة واضحة ، وقد لخصت فيه كل كتبه الهامة تلخيصاً وافياً ، وكتب بأسلوب علمي بليغ ، يشهد لمؤلفه بمقدرة نقدية لا شك فيها